شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم

وما ثبت فيها من النقول

تأليف

الدكتور طه فارس

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

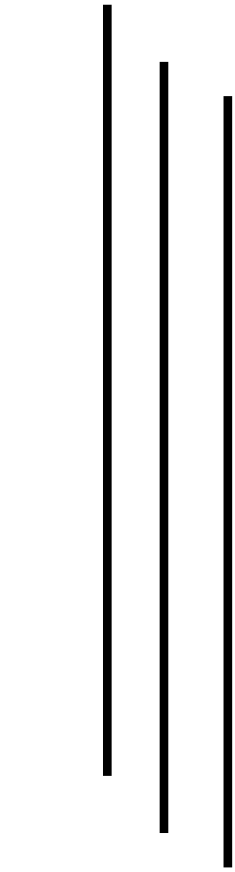

شمائل الرسول ﷺ

وما ثبت فيها من النقول

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م

شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم

وما ثبت فيها من النقول

تأليف

الدكتور طه فارس

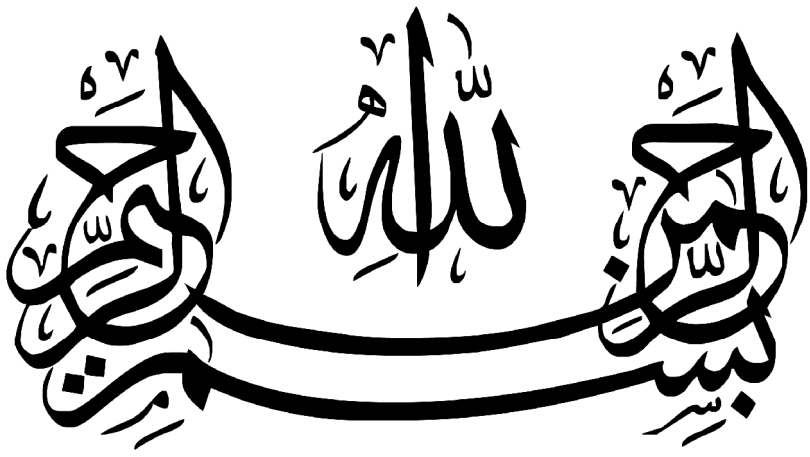
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه...، وبعد:

فإن الناظر في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ لا تخطئ عينه الحديث عن الأرض المباركة، التي خصها الله تعالى لتكون محلاً لأكثر رسالاته، وسكنًا لأكثر أنبيائه عليهم السلام[1]، فهي مُهَاجَر إبراهيم ومعه ابن أخيه لوط عليهما السلام، وموطن إسحاق ويعقوب عليهما السلام، والأرض المقدسة التي اختارها الله لسيدنا موسى ولقومه بعد الخروج من مصر، وهي مكان حكم داود وسليمان عليهما السلام، وفيها كان دعاء النبي الشيخ زكريا عليه السلام ليهب له يحيى بعد أن بلغ من الكبر عتيًا، وهي مولد عيسى ابن مريم عليهما السلام، ومسرى رسول الله ﷺ ومنطلق معراجه، وقبلة المسلمين الأولى.

كما يجد الباحث الكثير من الأحاديث التي تتكلم عن هذه البقعة المباركة، في الوقت الذي كانت ترزح فيه تحت حكم الروم، وقد عمَّ الكفر والشرك في أرجائها، مما يعتبر معجزة من معجزات النبي ﷺ، وعَلَمًا من أعلام نبوته.

---

(١) بالتتبع والاستقصاء تجد أن أكثر الرسالات كانت في أرض الشام.

فنجده ﷺ تارة يدعو لها بالبركة والهناءة، وتارة يتحدث عن خصائصها وفضائلها، فهي التي تكفل الله بها وبأهلها، وهي التي يبسط الرحمن رحمته عليها، وهي التي تبسط الملائكة أجنحتها عليها، وإن سألت عن الإيمان وعموده ففيها، وإن استنصحت مكانًا للهجرة فإليها، وإن رغبت بالصلحاء الأبدال فالزمها، وأما الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق الغالبة لعدوها فلا تتعداها، وخير الأجناد أجنادها، وأرض الملاحم ومعقل المسلمين وفسطاطهم وعقر دارهم هي، فيها ينزل روح الله المسيح ابن مريم عليه السلام ليقتدي بالمهدي الصالح في دمشقها، وأرض المحشر والمنشر هي.

وقد دفعني لجمع فضائل هذه الأرض المباركة تلك الأحداث الجسام التي تقع في بقاع أرض الشام، والتي حملت بعضهم لنشر ما ورد من روايات الفتن والملاحم في بعض بقاع الشام، دون التثبت من صحته، ودون الفهم لدلالته، وقد أخذت على نفسي ألا أذكر في البحث إلا ما كان صحيحًا أو حسنًا، وما كان فيه ضعف يسير أشرت إليه.

وفي الوقت الذي كنت أجمع فيه مادة هذا البحث ما انفكت سهام الغدر تنال من أرض الطهر...، فمن عدو ظاهر يغتصب المقدسات ويدنسها وفق تآمر دولي وصمت عربي، إلى عدو باطن يتظاهر بالمقاومة والممانعة، ويوغل في الأرض المباركة إفسادًا، ليصل سند سلفه الهالك، وليتابع مسيرته في الإفساد والإضلال، كل ذلك وأكثر وسط تآمر دولي تتبادل أطرافه الأدوار، مع علمهم بخطر ما يجري ويدار.

وأما عن سبب عنوان البحث بشام الرسول ﷺ...، فهو حديث النبي ﷺ الذي أضاف فيه الشام لنفسه فقال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**»(١).

كما أنني أستطيع أن أدرك محبة النبي ﷺ للشام وتشوفَه لها، من خلال الحديث الذي يرويه أبو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: «**دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ**»(٢).

قال ابن كثير: «وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم...»(٣).

ولا بد من التأكيد على أن الحديث عن فضل هذه البقعة المباركة لا ينفي فضل غيرها من بقاع الأرض، كمكة المكرمة وطيبة الطيبة، كما أنه لا يمنح أهلها وقاطنيها صكًّا بالبراءة والطهر، إنما يدعوهم لمزيد من التقوى والاستقامة مدى العمر.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ١١٨ برقم ٥٩٨٧؛ والبخاري في الجمعة برقم ٩٩٠؛ والترمذي في المناقب ٥: ٧٣٣ برقم ٣٩٥٣ وقال: حسن صحيح غريب؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٠.

(٢) أحمد في المسند ٥: ٢٦٢ برقم ٢٢٣١٥؛ والطبراني في الكبير برقم ٨: ١٧٥؛ وأخرجه الحاكم بسند صحيح عن العرباض بن سارية ٢: ٤٥٣ بألفاظ متقاربة، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وكذلك عن خالد بن معدان ٢: ٦٥٦ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير ابن كثير ١: ٤٤٤.

فقد روى الإمام مالك في موطئه: أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة»، فكتب إليه سلمان: «إن الأرض لا تُقَدِّس أحدًا، وإنما يقدس الإنسانَ عملُه...»[١].

وروى ابن عساكر بسنده أن وفدًا من أهل العراق قدموا على معاوية، فيهم صعصعة بن صوحان، فقال لهم معاوية: مرحبًا بكم وأهلاً، قدمتم خير مقدم، قدمتم على خليفتكم وهو جنة لكم، وقدمتم أرضًا بها قبور الأنبياء، وقدمتم الأرض المقدسة، وأرض المحشر...، فقال صعصعة: أما قولك مرحبًا بكم وأهلاً فذاك من قَدِمَ على الله، والله عنه راض، وأما قولك: قدمتم على خليفتكم وهو جنة لكم، فكيف لنا بالجنة إذا احترقت؟ وأما قولك: قدمتم الأرض المقدسة، فإنها لا تقدس كافرًا، وأما قولك: قدمت أرض المحشر، فإنه لا يضر بُعْدُها مؤمنًا، ولا ينفع قُرْبُها كافرًا، قال: اسكت لا أرض لك، قال: ولا لك يا معاوية، إنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، قال: أمَا والله لقد كنت أُبغض أن أراك خطيبًا، قال: وأنا والله لقد كنت أبغض أراك خليفة...[٢].

وقد جعلت بحثي هذا في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة:

المقدمة: تحدثت فيها عن جمل من فضل أرض الشام، وعن أسباب البحث ودوافعه، والمنهج المتبع فيه، وسبب

(١) الموطأ برواية يحيى الليثي ٢: ٧٦٩ برقم ١٤٥٩.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٤: ٩٣.

اختيار العنوان، وبيان خطة البحث.

والتمهيد: فيه بيان المراد ببلاد الشام.

والمطلب الأول: فضل بلاد الشام في كتاب الله تعالى.

والمطلب الثاني: فضل بلاد الشام في السنة النبوية المباركة.

والخاتمة: فيها ذكر أهم نتائج البحث.

هذا وأسأل الله تعالى أن يعجل بالفرج والنصر القريب لأهلنا في الشام الجريحة، وأن أكون قد وفقت لما قصدت، وسُدِّدت فيما كتبت، والله من وراء القصد.

كتبه

١٨ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ

المـــوافق ١٠ / ٤ /٢٠١٢م

التمهيد

ـ بيان المراد ببلاد الشام :

يقصد ببلاد الشام تلك الرقعة الواسعة التي تمتد على مساحة كبيرة، تشمل عدة دول عربية حسب التقسيمات التي زرعها أعداء الأمة فينا بعد إسقاط الخلافة الإسلامية[١]، فتشمل سوريا اليوم مع ما أُخذ من شمالها بالإضافة إلى أنطاكية ولواء اسكندرون، والأردن، ولبنان، وفلسطين مع ما اغتصب من أراضيها، وكذلك سيناء من مصر، وتنتهي حدود الشام مما يلي البحر عند رفح.

وقد بيَّن الاصطخري[٢] في كتابه القيم الموسوم بمسالك الممالك حدود بلاد الشام فقال: «وأما الشام: فإن غربيها بحر الروم (البحر المتوسط)، وشرقيها البادية من أيلة[٣] إلى الفرات، ثم من الفرات إلى

---

(١) وأقصد هنا: الاتفاقية السرية المشؤومة (سايكس بيكو)، التي تمت في غفلة من الأمة العربية بين فرنسا وبريطانيا ومباركة من الإمبراطورية الروسية عام ١٩١٦م وبعذ الضعف الشديد الذي أصاب الخلافة العثمانية، وقد تم بموجب هذه الاتفاقية تمزيق المشرق العربي وسوريا الكبرى إلى دول وكيانات سياسية، كرست الحدود المرسومة بينها بموجب هذه الاتفاقية، وتم بموجب هذه الاتفاقية تقسيم الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا، وسُميت الاتفاقية بهذا الاسم: لأنها الاتفاق (المؤامرة) تمت بين البريطاني: مارك سايكس، والفرنسي: فرانسوا جورج بيكو.

وفي معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م تم التنازل عن الأقاليم السورية الشمالية لتركيا..!!!

(٢) إبراهيم بن محمد الفارسي، أبو إسحاق الاصطخري، ويقال له: الكرخي (ت ٣٤٦ هـ): جغرافي، رحالة، من العلماء، من أهل إصطخر (بإيران). انظر: الأعلام للزركلي ١: ٦١.

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ١: ٢٩٢: أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر=

حد الروم، وشماليها بلاد الروم[١] (تركيا اليوم)، وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور، وهي مَلَطْيَة[٢] والحَدَث[٣] ومَرْعَش[٤].....

= القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام،... قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير.

(١) نقل ابن كثير عن أبي عمر بن عبد البر قوله: المراد بالروم هنا الروم الأول، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يونان ابن يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام. انظر: البداية والنهاية ١: ٣٣٠. وقد ورد في الحديث عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَامٌ أَبُو الْعَرَبِ، وَيَافِثُ أَبُو الرُّومِ، وَحَامٌ أَبُو الْحَبَشِ**». أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٩٣١ وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ؛ وأخرجه أحمد وأبو يعلى وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه.

(٢) هكذا ضبطها ياقوت الحموي في المعجم ٥: ١٩٢، وقد ذكر الاصطخري في المسالك والممالك: أن بينها وبين مدينة منبج المعروفة أربعة أيام، وبين منبج وحلب يومان. قلت: وتقدَّرُ المسافة بين منبج وحلب الآن بـ ٨٠ كم، وبالتالي يمكن لنا تقدير المسافة بين منبج وملطية بما يقارب ١٦٠كم.

(٣) ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٢: ٢٢٧ فقال: الحَدَث بالتحريك وآخره ثاء مثلثة قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور وأشج العدو فلما قدم على المهدي أخبره بما في بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين فأمر ببناء ذلك وأن يكون بالحدث وذلك في سنة ١٦٢هـ. وقد قدر الاصطخري المسافة بينها وبين مدينة حلب بثلاثة أيام، وتعادل بقياساتنا اليوم ١٢٠كم.

(٤) ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٥: ١٠٧: مَرْعَش... مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد، الشهير بمروان الحمار، ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة، وبها ربض يعرف بالهارونية وهو مما يلي باب الحدث. قدر الاصطخري المسافة بينها وبين حلب بيومين، وهو ما يعادل ٨٠كم.

والهارونية[١] والكنيسة[٢] وعين زَرْبَى[٣] والمصيصة[٤] وأذنة[٥] وطرسوس[٦]»[٧].

---

(١) في معجم البلدان ٥: ٣٨٨: الهارونية مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام، استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وأبواب حديد، ثم خربها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها.

(٢) في معجم البلدان ٤: ٤٨٥: الكنيسة بلفظ كنيسة اليهود بلد بثغر المصيصة، ويقال لها: الكنيسة السوداء، ... سميت السوداء لأنها بنيت بحجارة سود بناها الروم قديمًا، وبها حصن منيع قديم أخرب فيما أخرب منها، ثم أمر الرشيد ببنائها وإعادتها إلى ما كانت عليه وتحصينها..

(٣) في معجم البلدان ٤: ١٧٧: عين زربى بفتح الزاي وسكون الراء وباء موحدة وألف مقصورة، ... وهو بلد بالثغر من نواحي المصيصة، قال ابن الفقيه: كان تجديد زربى وعمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم في حدود سنة ١٩٠هـ وكان قد ولي الثغور من قبل الرشيد، ثم استولى عليها الروم فخربوها فأنفق سيف الدولة بن حمدان ثلاثة آلاف ألف درهم حتى أعاد عمارتها ثم استولى الروم عليها.

(٤) في معجم البلدان ٥: ١٤٤ ـ ١٤٥: المَصِّيصة بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى كذا ضبطه الأزهري وغيره...، وهي مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس،... وكانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديما وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب.

(٥) في معجم البلدان ١: ١٣٣: أذنة بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور ... ولأذنة نهر يقال له: سيحان وعليه قنطرة من حجارة عجيبة بين المدينة وبين حصن مما يلي المصيصة...، ولأذنة ثمانية أبواب وسور وخندق وينسب إليها جماعة من أهل العلم.

(٦) في معجم البلدان ٤: ٢٨: طَرَسوس بفتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة بوزن قربوس كلمة عجمية رومية...، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان، وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد، جاءها غازيا فأدركته منيته فمات، [وهي]... من ثغور المسلمين.

(٧) المسالك والممالك.

ولا يخرج هذا التحديد لبلاد الشام قديمًا عما ذكرناه، إلا فيما اقتطع من أراضي بلاد الشام سواء من الجنوب أم من الشمال، ولعل المنطقة الرمادية في هذه الخارطة تمثل بصورة تقريبية بقعة بلاد الشام التي نتحدث عنها:

أما هذه الصورة التوضيحية فهي دقيقة إلا أنها وفق التقسيمات الحديثة التي طرأت على بلاد الشام، وقد أشرت اجتهادًا مني إلى الحدود الجنوبية والشرقية لبلاد الشام، إلا أنني لم أستطع تحديد الحدود الشمالية لتغير أسماء المناطق وعدم معرفة بدائلها باستثناء مرعش وطرسوس وأضنه (أذنه)، مع التأكيد على أن أنطاكية واللواء هما جزء من بلاد الشام بالإضافة إلى المناطق الشمالية.

(صورة توضيحية لحدود بلاد الشام مأخوذة من موقع جوجل)

** ** **

المطلب الأول

فضل بلاد الشام في كتاب الله تعالى

إن المتتبع لآيات كتاب الله تعالى لا بد أن يلمس في جملة منها الحديث عن فضل هذه البقعة المباركة من الأرض، وهي بلاد الشام، فألفاظ المباركة بها، وأنها منازل صدق، وأنها ربوة ذات قرار ومعين، وأنها الأرض المقدسة، واختيارها مهداً لأكثر الرسالات المنزلة، ومسرى لرسول الله ﷺ، ومنطلقًا لمعراجه إلى السماوات العلى، كلٌّ ذلك يدلُّ على فضل هذه البقعة المباركة من الأرض وما حولها، واختصاصِهَا من الله تعالى بمزيَّة ليست لغيرها.

وللحديث عن فضل هذه البقعة المباركة في كتاب الله سأتناول ذلك من خلال التسلسل التاريخي الزمني للرسالات السماوية والنبوات.

أولاً : مُهاجَر سيدنا إبراهيم ومعه ابن أخيه لوط عليهما السلام :

ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في أرض الكلدانيين، وهي ما يسمى بأرض بابل من العراق، وكان قومه يعبدون الأصنام ويعظمونها، وكان أبوه[١] على ملة قومه من الوثنية والشرك بالله، وقد

(١) ورد في كتاب الله تعالى من سورة الأنعام أن اسم أبيه آزر، بينما ورد في كتب أهل الكتاب أن اسم أبيه تارح، وقد صوّب ابن جرير تسميته بآزر موافقة لما في كتاب الله، وخرّج ما ذكره النسابون وأهل الكتاب على أنه اسم آخر أو لقب له، ومنهم من قال=

ذكر لنا القرآن الكريم في سورة مريم دعوته لأبيه لتوحيد الله وعبادته، ورفضَ أبيه لذلك، كما أخبرنا الله تعالى استنكارَ إبراهيم عليه السلام لعبادة أبيه وقومه للأصنام، وقيامَه بمحاورتهم وبيانِ فساد معتقداتهم كما في سورة الأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات، وعندما يئس من استجابتهم وإيمانهم قام بتحطيم أصنامهم أثناء خروجهم لظاهر المدينة في يوم عيدهم، فلما رجعوا ورأوا أصنامهم التي يعبدونها قد حطمت، وثبت لهم بالدليل والبرهان قيامُ إبراهيم عليه السلام بهذا الفعل، ما كان منهم إلا أن اتخذوا قرارًا بتحريقه نصرة لآلهتهم، فجاءت الحماية الربانية لرسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، لتصبح النار الملتهبة بردًا وسلامًا على نبيه ومصطفاه[١].

ثم ذكر الله لنا في سورة البقرة تلك المناظرة التي جرت بين سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد خروجه من النار سالمًا، وبين النمروذ الذي كان ملكًا على أرض بابل، ولكن هذه المناظرة لم تزد ذلك المعاند الكافر إلا كفرًا.

عند ذلك عزم سيدنا إبراهيم عليه السلام على الرحيل من أرض قومه متوجهًا إلى بلاد الشام، ولم يكن قد آمن به واستجاب لدعوته في ذلك الوقت إلا زوجه سارة وابن أخيه لوط عليهما السلام، فخرج بهما من أرض قومه مهاجرًا إلى الله، فارًا بدينه، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ

= غير ذلك، والأصح الوقوف عند ظاهر ما ورد في كتاب الله. انظر: تفسير البغوي ٣: ١٥٨؛ وتفسير ابن كثير ٣: ٢٨٩.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١: ١٦٢ وما بعدها.

لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وضمير المفرد المذكر في ﴿لَهُۥ﴾ هو لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، أي: نجينا إبراهيم ولوطًا، والأرض: هي أرض الشام على الراجح من أقوال العلماء(١).

والبَرَكَةُ لغة: النَّماءُ والزيادةُ والسَّعادَةُ(٢)، وبركات هذه الأرض الواصلة للعالمين هي: أن أكثر الأنبياء عليهم السلام بُعثوا فيها، فانتشرت في العالمين شرائعُهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية، وقيل: بارك الله فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب، وطيب عيش الغنيّ والفقير(٣).

وأرى أنه لا ينفي أحد هذين المعنيين صحة المعنى الآخر، وذلك لأن بركة هذه الأرض عامة، فتشمل البركات المعنوية والبركات المادية، والله أعلم.

ثانيًا: الأرض المقدسة والمباركة التي اختارها الله لسيدنا موسى عليه السلام ولقومه:

كان النسيج الاجتماعي في مصر بين يدي بعثة سيدنا موسى عليه السلام مكونًا من فئتين، الفئة الأولى هم الأقباط، ومنهم فرعون

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨: ٤٦٩.

(٢) انظر: القاموس المحيط ولسان العرب مادة: برك.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٣: ١٢٧؛ ومعالم التنزيل للبغوي ٥: ٣٢٩؛ وروح المعاني للآلوسي ١٧: ٧٠.

وأعوانه وجنوده، وأما الفئة الثانية فكانت من بني إسرائيل، الذين يسامون سوء العذاب من قبل الأقباط، فيسخرونهم لخدمتهم، ويذلونهم ويستعبدونهم، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبًا فرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢].

ولكن لم يكتف فرعون وأعوانه بما كانوا يمارسونه على بني إسرائيل من إهانة وإذلال، خصوصًا بعد أن أخبر كهنة قصر فرعون أن زوال ملكه سيكون على يدي رجل من بني إسرائيل، عند ذلك صدر الأمر الفرعوني بقتل جميع الذكور الذين يولدون لبني إسرائيل، وإبقاء الإناث على الحياة، فلما رأى فرعون أن أمره هذا سيفني بني إسرائيل الذين يسخرون لخدمته وخدمة حاشيته وأهل ملته، جاء تعديل القرار الفرعوني، بأن يذبح الذكور في سنة ويتركوا في سنة، وكان من قدر الله أن يولد سيدنا موسى عليه السلام في السنة التي يذبح فيها، ويأتي الإلهام الرباني لأم سيدنا موسى عليه السلام لتلقي فلذة كبدها في اليم بعد وضعه في صندوق، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، ثم ليربى في قصر فرعون، وليكون له ولملئه بعد ذلك عدوًا وحزنًا، قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

ثم أغرق الله تعالى فرعون وجنده، ونجى موسى عليه السلام وقومه، وجعلهم ورَّاثًا للأرض المباركة، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، والقوم الذي أورثهم الله هذه الأرض هم بنو إسرائيل باتفاق المفسرين، ومعنى توريثهم إياها: فسره الطبري بأنهم ورثوها من العمالقة[(١)]، وقال الآلوسي: إدخالها في ملكهم وعدم وجود مانع لهم عن التصرف فيها وتمكين أولادهم فيها، (وهذا على القول بأنهم لم يدخلوها بعد أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام)[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ١٣: ٧٦. والعمالقة أو العماليق: هم قوم من ولد عمليق، ويقال: عملاق ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. انظر: معجم قبائل العرب لرضا كحالة ٢: ٣٧٥.

(٢) انظر: روح المعاني للآلوسي ٩: ٣٧. **ملاحظة**: لعله من المناسب هنا أن أذكر أن هذا لا يبرر ما يدعيه الصهاينة من حق تاريخي في فلسطين، فالصهاينة الذين اغتصبوا أرض فلسطين من أهلها ويشكلون اليوم أكثرية شعب ما يسمى بدولة إسرائيل هم كما تقرر المصادر الصهيونية ذاتها بنسبة ٨٢% اشكنازيون (أي يهود غير ساميين)، وهم في أصولهم مجموعات من العروق التركية والمغولية والفنلاندية، التي توافدت إلى أوربا قادمة من آسيا عبر الأراضي الواقعة شمالي بحر قزوين، واستقر قسم منهم في أقصى شرق أوربا، حيث شكلوا مملكة قوية عرفت باسم مملكة الخزر، وكانت عاصمتهم مدينة استراخان حاليًا، والخزر كانوا وثنيين متساهلين دينيًّا، لكن أخلاقهم جعلتهم يفضلون الدين اليهودي بشكله الذي آل إليه بعد ما حرفته أيدي الحاخامات. انظر:=

وقد اختلف المفسرون في تحديد المقصود من مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها.

فذهب شيخ المفسرين الطبري إلى ترجيح القول بأنها أرض الشام وعزا هذا القول للحسن وقتادة، واستبعد القول بأنها أرض مصر، وقال: إن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب، مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير[١]، وهذا ما مال إليه الإمام الرازي في تفسيره، فبعد أن ذكر الأقوال في ذلك قال ما معناه: لفظ البركة لا يليق إلا بأرض الشام[٢].

وذهب البغوي في تفسيره إلى أنها أرض مصر والشام[٣].

وأما المراد من المباركة فيها: ففسره الطبري بأن جعل الله فيها الخير ثابتًا دائمًا لأهلها[٤].

وأما قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١]، فهو خطاب من سيدنا موسى عليه السلام لقومه، وقد اختلف السلف ومن بعدهم في تحديد المقصود من الأرض المقدسة، فمنهم من قال: إنها الطور وما حوله ونسب هذا القول لابن عباس ومجاهد، ومنهم من قال: الشام

= تاريخ فلسطين القديم ص ٨ ـ ١٠.

(١) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان) ١٣: ٧٦ وما بعدها.

(٢) تفسير الرازي ١٤: ٣٤٩.

(٣) تفسير البغوي (معالم التنزيل) ٣: ٢٧٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٣: ٧٦.

كلها ونسب القول لقتادة، ومنهم من قال: أريحا، ونسب القول لابن عباس والسدي وابن زيد وعكرمة، ومنهم من قال: إيليا وبيت المقدس ونسب القول للضحاك، ومنهم من قال: دمشق وفلسطين وبعض الأردن ونسب للكلبي والزجاج[١].

ولذلك نجد شيخ المفسرين الطبري يقول: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى ﷺ، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك[٢].

وأما المراد من لفظة ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ فالتقديس: التطهير، والمقدسة: المطهرة والمباركة، وبركتها: تطهير من القحوط والجوع وغيره، كما قال ابن عطية[٣].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

---

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي ٢: ٢٥؛ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢: ٢٠ وما بعدها؛ ومعالم التنزيل للبغوي ٣: ٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠: ١٦٨.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢: ٢٠٢.

فالمراد منها أن الله تعالى يمتن على بني إسرائيل بما أنعم عليهم من إحلالهم وإسكانهم من الأماكن أحسنها بعد أن أهلك عدوهم، حيث أنزلهم منزلاً صالحًا مرضيًّا محمودًا، يصدق فيه ظن قاصده وساكنه وأهله، فما ظن فيه من الكمالات وجدها صدقًا وحقًّا[١].

أما تحديد المكان الذي جعله الله تعالى منزل صدق لبني إسرائيل فاختلف المفسرون فيه على قولين:

فذهب قتادة وابن زيد: إلى أنه بلاد الشام وبيت المقدس، وذهب الضحاك: إلى أنه مصر والشام[٢].

وقد رجح ابن عطية القول الأول، وعلل ذلك بأن بني إسرائيل لم يعودوا إلى مصر مرة أخرى[٣].

ثالثًا: المكان المبارك الذي اختاره الله تعالى لحكم سيدنا دواد وسليمان عليهما السلام:

اختار الله تعالى أرض الشام لتكون مركزًا لحكم سيدنا داود عليه السلام، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل، من نسل سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، جمع الله له بين الملك والنبوة، وذلك بعد أن قتل جالوت، فأحبه بنو إسرائيل ونصَّبوه عليهم ملكًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ

(١) انظر: المحرر الوجيز ٣: ١٥٩؛ وتفسير البغوي ٤: ١٤٩؛ وتفسير الرازي ١٧: ٢٩٩؛ والبحر المديد لابن عجيبة ٣: ٢٥٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٥: ١٩٨؛ والمحرر الوجيز ٣: ١٥٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣: ١٥٩.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وبعد أن توفاه الله تعالى خلفه ولده سليمان عليه السلام على حكم بني إسرائيل، وقد أيّد الله نبيه ورسوله سليمان عليه السلام بالمعجزات وآتاه ملكًا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعده، ومن جملة معجزاته أن سخر له الريح تحمله وتجري به حيث يشاء، وقد أخبر الله تعالى أن من جملة الجهات التي تجري إليها هي أرض الشام المباركة، فقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، فهي تجري به إلى أنحاء أرض الشام المباركة، ثم تعود به إلى مستقره في أرض الشام[(١)].

رابعًا: مكان مولد وإقامة سيدنا عيسى وأمه مريم عليهما السلام:

لا شك أن حمل السيدة الطاهرة لسيدنا عيسى عليه السلام من غير زوج آية من آيات الله، ولكن لسنا هنا بصدد الحديث عن هذه الآية الربانية العظيمة، إنما حديثنا منصب على بيان بركة وفضل بلاد الشام.

فقد اختار الله تعالى للسيدة مريم ولولدها بعد أن وضعته مكانًا مرتفعًا مستويًا من الأرض، تجري فيه عين من الماء لتشرب منها وتسقي ولدها[(٢)]، وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨: ٤٨١؛ وتفسير البغوي ٥: ٣٣٥.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٥: ٤١٩؛ وتفسير الرازي ٢١: ٥٢٩.

وقد أشير إلى عين الماء والجدول الذي يجري بالقرب من السيدة مريم ومولودها في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، وورد بيان معنى السري في حديث موقوف صحيح عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**هو الجدول، النهر الصغير**»[(١)].

ولكن السؤال هنا: أين تقع هذه الربوة التي آوى الله عز وجل إليها مريم البتول مع ولدها عيسى عليهما السلام؟

اختلفت أقوال السلف وعلماء التفسير في ذلك، ولكن أكثر هذه الأقوال لا تخرج في تحديدها للمكان عن بلاد الشام، ولذلك سأعرض لهذه الأقوال منسوبة لقائليها:

ذهب الأكثرون ومنهم: يزيد بن أبي شجرة الصحابي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعبد الله بن سلام وزيد بن أسلم وخالد ابن معدان وقتادة ومقاتل إلى أنها: دمشق[(٢)].

وذهب مجاهد إلى أنها: غوطة دمشق[(٣)].

وذهب أبو العالية وقتادة في قول والضحاك وكعب وهي رواية

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٤٠٥ برقم ٣٤١٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٩: ٣٧؛ وتفسير البغوي ٥: ٤١٩؛ وتفسير الرازي ٢١: ٥٢٩؛ وتفسير ابن كثير ٥: ٤٧٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٥: ٤١٩؛ وتفسير الرازي ٢١: ٥٢٩؛ وتفسير ابن كثير ٥: ٤٧٦.

عطاء عن ابن عباس إلى أنها: بيت المقدس[١]، وقد رجح ابن كثير هذا القول واستظهره فقال: هذا والله أعلم هو الأظهر.

وذهب أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنها: الرملة من فلسطين[٢].

وذهب الكلبي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم إلى أنها: مصر[٣].

وبالنظر في هذه الأقوال نجد أن أكثرها ـ باستثناء قول الكلبي وابن زيد ـ لم يخرج عن أرض الشام، ويبدو لي أن السبب في هذا الاختلاف هو عدم ورود نص قاطع في ذلك، وإن كنا نستطيع من خلال تتبع مجريات الأحداث التي رويت في شأن نذر امرأة عمران أم السيدة مريم، وشأن السيدة مريم عليها السلام، أن نقطع أن الشام هي الأرض التي اختارها الله لهذه الأحداث، وأما تحديد الربوة التي أوت إليها السيدة مريم مع ولدها والقطع بها فيحتاج إلى رواية صحيحة تبين ذلك، ولم نقف عليها.

خامسًا: القرى المباركة في كتاب الله:

أخبرنا الله تعالى في كتابه عن مملكة سبأ في اليمن، وسمى سورة من سور القرآن باسمهم، فكان من جملة النعم التي أغدقها الله عليهم، أنهم يسافرون في تجارتهم للشام (القرى المباركة) آمنين مطمئنين، فلا يحتاجون في سفرهم أن يتزودوا بالطعام والماء،

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٥: ٤١٩؛ وتفسير ابن كثير ٥: ٤٧٦.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٥: ٤١٩؛ وتفسير ابن كثير ٥: ٤٧٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٥: ٤٧٦.

فالقرى بين سبأ وبين الشام متواصلة والنعم ظاهرة، فأينما حلوا وجدوا طعامًا وماء، فلا يخافون جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًا، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وإذا ما رجعنا إلى كتب التفسير نجد أن الأكثرين على أن القرى التي بورك فيها هي بلاد الشام، وما خالف في ذلك إلا وهب بن منبه فقال: هي قرى صنعاء[١]، بل إننا نجد ابن عطية في المحرر يقول: «القرى التي بورك فيها هي بلاد الشام بإجماع من المفسرين»[٢].

سادسًا: مسرى رسول الله ﷺ، ومنطلق معراجه إلى السموات العلى:

تزاحمت المصائب على رسول الله ﷺ، ففقد في عام واحد زوجه خديجة التي كانت تناصره وتمسح عن نفسه ما كان يلقاه من قومه، كما فقد عمه أبا طالب الذي كان يقف طودًا شامخًا وسدًّا منيعًا في وجه من يريد إلحاق الأذى بابن أخيه، فما كان من قريش بعد ذلك الرزء الذي أصيب به رسول الله ﷺ إلا أن زادت من جرائمها وعدوانها على رسول الله ﷺ وأتباعه، فشعر النبي ﷺ أن سبل الدعوة قد استغلقت في وجهه في مكة، فتوجه إلى الطائف ليبلغ رسالة ربه وليدعو أهلها إلى الحق التي جاء به، فلاقى منهم أسوء الرد، فرجع

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٦: ٥٠٩.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٤: ٤٨٠.

إلى مكة محملاً بأحزانه، ليدخلها بجوار المطعم بن عدي، وفي هذه اللحظات الحاسمة من مراحل الدعوة تبرز العناية الربانية برسول الله ﷺ، ليختار الله لنبيه محمد ﷺ معجزة تُثَبِّت قلبَه، وتؤكد له خصوصيته ومنزلته من ربه، ألا وهي الإسراء إلى المسجد الأقصى في البقعة المباركة، ثم المعراج منه إلى السموات العلى.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وفي بيان «البركة حوله» يحدثنا ابن عطية فيقول: «هي من جهتين، إحداهما: النبوءة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه، والأخرى: النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها»(١).

ثم كانت بعد ذلك معجزة المعراج إلى السموات العلى، وكان فيها ما كان من لقاء الأنبياء عليهم السلام، ثم من بلوغ سدرة المنتهى وما أوحى الله إلى عبده، وفرض الصلاة على العباد، ولكن لسنا هنا بصدد الحديث عن تفصيل ذلك وبيان أدلته، إنما أردنا من إيراد الحدث بيانًا لفضل تلك البقعة المباركة وخصوصيتها(٢).

---

(١) المحرر الوجيز ٣: ٤٤٣.

(٢) وقد وردت الإشارة إلى المعراج والحديث عنه في سورة النجم، كما وردت الأحاديث الصحاح لبيان تفصيل ذلك.

سابعًا : قبلة رسول الله ﷺ بعد الهجرة :

بعد أن هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مكث ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا يستقبل في صلاته بيت المقدس، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى بيت الله الحرام في مكة، وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقد جاء تفصيل ذلك في كلام الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ مِن الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلاَّهَا صَلاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وكَانَت الْيَهُودُ قَد أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ[1].

ولكن قد يسأل سائل عن الجهة التي كان يصلي إليها رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، فنقول: قد أجاب العلامة ابن حجر

(١) أخرجه البخاري في الإيمان برقم ٤١؛ ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٢٥.

رحمه الله عن ذلك فقال: «وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبي ﷺ يتوجه إليها للصلاة وهو بمكة، فقال ابن عباس وغيره: «كان يصلي إلى بيت المقدس، لكنه لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس»، وأطلق آخرون أنه كان يصلي إلى بيت المقدس، وقال آخرون: «كان يصلي إلى الكعبة، فلما تحول إلى المدينة استقبل بيت المقدس»، وهذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين، والأول أصح لأنه يجمع بين القولين، وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس، وكأن البخاري أراد الإشارة إلى الجزم بالأصح من أن الصلاة لما كانت عند البيت كانت إلى بيت المقدس، واقتصر على ذلك اكتفاء بالأولوية، لأن صلاتهم إلى غير جهة البيت وهم عند البيت إذا كانت لا تضيع فأحرى أن لا تضيع إذا بعدوا عنه، فتقدير الكلام: يعني صلاتكم التي صليتموها عند البيت إلى بيت المقدس[1].

** ** **

(١) انظر: فتح الباري ١: ٩٦.

المطلب الثاني

فضل بلاد الشام في السنة النبوية المباركة

أولاً : كفالة الله تعالى للشام ولأهله :

فقد أخبر النبي ﷺ عن ضمانة الله له بحفظ بلاد الشام وبحفظ أهلها القائمين بأمر الله تعالى[١]، مما يدل على الاختصاص الرباني لهذه البقعة المباركة، وعلى اهتمام النبي ﷺ واحتفائه بها وبأهلها.

ففي الحديث الذي يرويه عَبْدُ الله بن حَوَالَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**سَيَكُونُ جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: فَخِرْ لِي يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكَ بِالشَّامِ، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، . . . ثَلاثًا، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَد تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**»[٢].

وقد ورد الحديث بلفظ آخر عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قام يومًا في الناس فقال: «**يا أيها الناس تُوشكون أن تكونوا أجنادًا مجنَّدة؛ جُندٌ بالشام، وجُندٌ بالعراق، وجُندٌ باليمن**»،

---

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ٤: ٣٤٢؛ والتيسير للمناوي ٢: ٢٧٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده في موضعين ٤: ١١٠ و٥: ٢٨٨ واللفظ له، قال الشيخ شعيب أرناؤوط في تعليقه على المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد ابن راشد ـ وهو المكحولي ـ فقد روى له أصحاب السنن؛ وأخرجه أبو داود في الجهاد برقم ٢٤٨٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٥ برقم ٧٣٠٦؛ والحديث صحيح بطرقه.

فقال ابن حوالة: يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: «**إني أختار لك الشام، فإنَّه خِيرَةُ المسلمين، وصفوةُ الله من بلاده، يجتبي إليها صفوتَهُ من خلقه، فمن أبى فليَلحَق بِيَمَنِهِ وليَسقِ من غُدُرِهِ، فإنَّ الله قد تكفَّل** (وفي رواية: توكل) **لي بالشام وأهله**»[(١)].

ثانيًا: دعاء النبي ﷺ لبلاد الشام وإضافتها لنفسه، وبسط الملائكة أجنحتها عليها:

كما نجد أن النبي ﷺ دعا للشام واليمن بالبركة وكرر الدعاء للتأكيد، وأضافهما لنفسه وأتى بضمير الجمع للتعظيم، مما نلمح منه حفاوة النبي ﷺ واهتمامه بهاتين البقعتين.

بل إننا نقف في هذا الدعاء على معجزة من معجزاته ﷺ، وعَلَم من أعلام نبوته، فقد دعا للشام بالبركة وأضافها لنفسه مع أنها كانت يومئذ دار كفر، ثم فتحت بعد ذلك وكان ما دعا به ﷺ[(٢)].

ففي الحديث عَن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**»، قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا**»، قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: قَالَ: «**هُنَاكَ الزَّلازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[(٣)].

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٣٧ برقم ١٦٦٤٨ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) انظر: الاستذكار لابن عبد البر ٨: ٢٢١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ١١٨ برقم ٥٩٨٧؛ والبخاري في الجمعة برقم ٩٩٠؛ والترمذي في المناقب ٥: ٧٣٣ برقم ٣٩٥٣ وقال: حسن صحيح غريب؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٠.

ودعاء النبي ﷺ للشام هو دعاء لأهلها، وهي إشارة لانتقال الإسلام إليها بعد أن كانت دار كفر وضلال[١].

كما نجد اهتمام النبي ﷺ وحفاوته بالشام، عندما يدعو لها ولأهلها بطيب العيش والراحة[٢]، ففي الحديث عَن زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا قَالَ: «**طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ...**»، قُلْتُ: مَا بَالُ الشَّامِ؟ قَالَ: «**الْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَجْنِحَتِهَا عَلَى الشَّامِ**»[٣].

وعندما يسأل عن سبب اهتمامه بالشام ودعائه لها، يعلل ذلك بأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها على بقعة الشام وأهلها، تحفظها وتحفها وتحولها بإنزال البركة فيها، ودفع المهالك والمؤذيات عنها[٤].

وقد جاء الحديث بلفظ آخر عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ ونحن عنده: «**طُوبى للشام**»، قلنا: ما له يا رسول الله ؟ قال: «**إن الرحمن لباسطٌ رحمته عليه**»[٥]، وفي هذا الحديث

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر ١: ٢٧٩.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٠: ٣١٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ١٨٥ برقم ٢١٦٤٦ و٢١٦٤٧؛ الترمذي في المناقب في فضل الشام واليمن برقم ٣٩٥٤ وقال: حديث حسن غريب؛ الحاكم في المستدرك ٢: ٢٤٩ برقم ٢٩٠٠ و٢٩٠١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٣ برقم ٧٣٠٤ بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي ١٠: ٣١٦.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٥: ١٥٨ برقم ٤٩٣٩ و٤٩٤٠؛ وذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٤٠ برقم ١٦٦٥٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

تأكيد على بسط الرحمة الربانية على الشام وأهله.

ثالثًا : الإيمان عند وقوع الفتن في بلاد الشام :

وفي ذلك يخبر النبي ﷺ عن رؤيا رآها، وهي أن عمود الكتاب ينتزع من تحت وسادته فيوضع في الشام، فيؤولها بالإيمان عند وقوع الفتن في بلاد الشام، وقد ورد ذلك في عدد من الروايات الصحيحة يعضد بعضها بعضًا، من ذلك رواية أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتُمل من تحت رأسي فعُمِد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**»(١).

وعند البزار عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتُمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعُمِد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**إني رأيت كأنَّ عمودَ الكتاب انتُزِعَ من تحت وسادتي فأتْبَعْتُه بصري فإذا هو نور ساطع عُمِدَ به إلى الشام، ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥: ١٩٨برقم ٢١٧٨١؛ وذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٣٥ برقم ١٦٦٤٠ وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٧: ٥٦٧ برقم ١٢٢٥٩ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي، وهو ثقة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٨: ١٧٠ برقم ٧٧٣٠؛ والأوسط ٣: ١٢٧؛ والحاكم في=

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لنا النبي ﷺ يومًا: «**إني رأيتُ الملائكة في المنامِ أخذوا عمود الكتاب، فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتنُ فإن الإيمان بالشام**»(١).

وقد ترجم البخاري رحمه الله في أول كتاب التعبير من صحيحه بقوله: (عمود الفسطاط تحت وسادته)، والفسطاط ما ترفع به الأخبية من الخشب.

فعلق ابن حجر في الفتح قائلاً: «ترجم بعمود الفسطاط ولفظ الخبر في عمود الكتاب، إشارة إلى أن من رأى عمود الفسطاط في منامه فإنه يعبر بنحو ما وقع في الخبر المذكور، وهو قول العلماء بالتعبير، قالوا: من رأى في منامه عمودًا فإنه يعبر بالدين، أو برجل يعتمد عليه فيه، وفسروا العمود بالدين والسلطان...»(٢).

وجاء في رواية أن ذلك كان ليلة أسري به ﷺ ووصف العمود بالبياض وشبهه باللؤلؤة، فعن عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت ليلة أسري بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة قلت: ما تحملون؟ فقالوا: عمود الكتاب، أمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم ثم رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت وسادتي، فظننت أن الله عز وجل تخلى من أهل الأرض، فأتبعته**

= المستدرك ٤: ٥٥٥ برقم ٨٥٥٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١: ١١٠؛ وقد ذكره الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ص ٣٠ وحكم عليه بالصحة.

(٢) فتح الباري ١٢: ٤٠٣.

بصري فإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام»، فقال ابن حوالة: يا رسول الله خر لي؟ قال: «**عليك بالشام**»[١].

وروى الطبري في تفسيره فقال: حدثنا أبو قلابة أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيْتُ فِيما يَرَى النَّائِمُ كأنَّ الملائِكَةَ حَمَلَتْ عَمُودَ الكِتابِ فَوَضَعَتْه بالشَّأْمِ، فأوَّلْتُه أن الفِتَنَ إذَا وَقَعَتْ فإنَّ الإيمَانَ بالشَّأْمِ**»[٢].

وقد أورد ابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود[٣] رواية عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع، حتى ظننت أنه قد هوى به فعمد به إلى الشام، وإني أوَّلت ذلك أن الفتن إذا وقعت أن الإيمان بالشام**»، وعزاها إلى مسند الإمام أحمد، ولكني لم أعثر عليها في مسند أحمد، إنما هي عند الطبراني، وقد ذكرها ابن حجر في الفتح وأشار إلى ضعف سندها[٤]، ومع ذلك فيستأنس بها لبيان تأويل الرؤيا التي رأى رسول الله ﷺ.

رابعًا: نصيحة النبي ﷺ لأصحابه بسكنى أرض الشام:

فقد وردت جملة من الروايات يستنصح فيها الصحابة رضوان الله عليهم رسولَ الله ﷺ ويستأمرونه ليشير عليهم بأرض السكنى والإقامة،

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٣٦ برقم ١٦٦٤٤ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة؛ وحسن ابن حجر في الفتح سنده ١٢: ٤٠٣.

(٢) تفسير الطبري ١٨: ٤٦٩.

(٣) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٧: ١١٤.

(٤) فتح الباري ١٢: ٤٠٣.

فيرشدهم مع التأكيد إلى ملازمة واختيار بلاد الشام، ويعلل ذلك بأنه خيرة المسلمين، وهي صفوة الله من بلاده، وفيها صفوة خلقه، وهي معقل المسلمين في الملاحم، وأن الله تعالى تكفل له بها وبأهلها، بل إنه يحدد لهم في بعض الروايات مدينة دمشق ويصفها بأنها معقل المسلمين في الملاحم.

فعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قام يومًا في الناس فقال: «**يا أيها الناس: توشكون أن تكونوا أجنادًا مجندة؛ جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن**»، فقال ابن حوالة: يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: «**إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين، وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليها صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله**»(١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِن حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِن نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ**»، قَالُوا يَا رَسُولَ الله: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»(٢).

وعَن عَبْدِ الله بنِ حَوَالَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: فَخِرْ لِي يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَيْكَ بِالشَّامِ، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، . . . ثَلاثًا،**

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٣٧ برقم ١٦٦٤٨ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ٥٣ برقم ٥١٤٦١؛ والترمذي في الفتن برقم ٢٢١٧ وقال: حسن غريب صحيح؛ وابن أبي شيبة ١٥: ٧٨؛ وإسناده صحيح.

عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»(١).

وعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيْنَ تَأْمُرُنِي قَالَ: «**هَا هُنَا**» وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ(٢).

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامُ، فَإِذَا خُيِّرْتُمُ المَنَازِلَ فِيهَا فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : دِمَشْقُ فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِن الْمَلاحِمِ، وَفُسْطَاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : الْغُوطَةُ**»(٣).

ولا بد من التأكيد على أن ما سبق هو عَلَم من أعلام النبوة، ومعجزة من معجزاته، وذلك من خلال إخباره ﷺ عن المغيبات، فبلاد الشام لم تكن قد فتحت آنذاك، كما لم يكن نور الإسلام والهداية قد شع فيها.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده في موضعين ٤: ١١٠ و٥: ٢٨٨ واللفظ له؛ وأبو داود في الجهاد برقم ٢٤٨٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٥ برقم ٧٣٠٦؛ والحديث صحيح بطرقه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٣ برقم ٢٠٠٤٣؛ والترمذي في الفتن برقم ٢١٩٢ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ؛ والحاكم في المستدرك ٤: ٦٠٨ برقم ٨٦٨٦ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣: ٢٥٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤: ١٦٠ برقم ١٧٥٠٥ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي بكر ابن أبي مريم؛ وذكره الهيثمي في المجمع ٧: ٥٦٦ برقم ١٢٢٥٨ وقال: رواه أحمد وفيه أبو بكر ابن أبي مريم وهو ضعيف؛ قلت: لعل تصحيح الشيخ الأرناؤوط للحديث إنما كان لغيره من الأحاديث التي وردت بالمعنى نفسه.

وقال الطبري في تفسيره: ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا كعب ألا تحوّل إلى المدينة؟ فإنها مُهاجَر رسول الله ﷺ وموضع قبره، فقال له كعب: يا أمير المؤمنين، إني أجد في كتاب الله المنزل، أن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده[١].

خامسًا: الأبدال في بلاد الشام:

اتفقت جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة في الإخبار عن الأبدال وأنهم في الشام[٢]، وتقاطعت في إثبات وجودهم، وإن اختلفت في الصفات والمعاني القائمة بهم.

فجملة الصفات التي وردت في الأحاديث: أنهم في الشام، وأنهم سموا بالأبدال لأنه كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر، وأن عددهم أربعون أو ثلاثون على اختلاف في الرواية[٣]، وأن قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام، وأنه يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف الله عن أهل الشام بهم العذاب، وأنهم إنما أدركوا هذه المنزلة بالسخاء والنصيحة للمسلمين.

فعن أمير الْمُؤْمِنِينَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ الله مَكَانَهُ رَجُلاً، يُسْقَى بِهِمُ الغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِم**

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨: ٤٦٩؛ وذكره البغوي بسنده في شرح السنة ١٤: ٢١٠.

(٢) لن أتعرض لكلام بعض العلماء الذين بالغوا في رد هذه الأحاديث فحكموا عليها بالوضع أو الضعف الشديد، وسأكتفي بذكرها وبيان كلام علماء الحديث فيها، وللقارئ المنصف أن يدرك الحق من خلال ذلك.

(٣) سأذكر التوفيق بين الحديثين عند ذكرهما.

عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ العَذَابُ»[١].

وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأبدال في أهل الشام، وبهم يُنصرون، وبهم يُرزقون**»[٢].

ولا تنافي بين هذين الحديثين، فالأول يتكلم عن إطلاق نصرتهم للمؤمنين على أعدائهم، والثاني يخبر عن نصرتهم لأهل الشام؛ لأن نصرتهم لمن هم في جوارهم أتمّ، وإن كانت أعم[٣].

وعن صفوان بن عبد الله، أو عبد الله بن صفوان ، قال: قال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تسبوا أهل الشام جمًّا غفيرًا، فإن بها الأبدال ، قالها ثلاثًا**»[٤].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم يدفع الله بهم عن أهل**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١: ١١٢ برقم ٨٩٦ بسند صحيح؛ والطبراني في الكبير ١٨: ٦٥ برقم ١٤٨٢٩؛ وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: رجاله رجال الصحيح، غير شريح بن عبيد، وهو ثقة؛ وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد، وهو ثقة، وقد سمع من المقداد، وهو أقدم من علي؛ وقد رمز السيوطي لحسن الحديث في الجامع ووافقه على ذلك المناوي في التيسير ١: ٨٥٦؛ وقال المناوي في فيض القدير ٣: ١٦٩: أخرجه أحمد والحاكم والطبراني من طرق أكثر من عشرة.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨: ٦٥ برقم ١٤٨٢٩؛ وذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٤٧ برقم ١٦٦٧٦ وقال: رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد، وقد ضعفه جمهور الأئمة، ووثقه محمد بن المبارك الصوري، وشهر اختلفوا فيه، وبقية رجاله ثقات؛ وقد رمز السيوطي لحسنه، ووافقه على ذلك المناوي في فيض القدير ٣: ١٦٨.

(٣) انظر: فيض القدير ٣: ١٦٨.

(٤) ذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٧: ٣٥٦ وقال: إسحاق، ورواته ثقات.

الأرض، يقال لهم : الأبدال»، قال رسول الله ﷺ: «**إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا صدقة**». قالوا: يا رسول الله فبم أدركوها ؟ قال: «**بالسخاء والنصيحة للمسلمين**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن، فيهم تسقون، وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا بدل الله مكانه آخر**»[(٢)].

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠: ١٨١؛ وذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٤٦ وقال: رواه الطبراني من رواية ثابت بن عياش الأحدب عن أبي رجاء الكلبي وكلاهما لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط؛ وذكره السيوطي في الجامع الصغير انظر: فيض القدير للمناوي ٥: ٣٠٠؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ٤٦ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥: ٣٢٢ برقم ٢٢٨٠٣، وسنده حسن، ذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٤٥ برقم ١٦٦٧٢وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة، وضعفه غيرهما. قال الزركشي: حديث حسن، كما في الموضوعات الكبرى للقاري (ص ٤٨، رقم ١٤٦)، وقد رمز السيوطي في الجامع الصغير لصحته؛ وقال السيوطي في الدرر المنتثرة ص٢٣: قلت: له شواهد كثيرة، بينتها على الموضوعات ثم أفردتها بتأليف مستقل؛ وقد وافق المناوي على ذلك في فيض القدير ٣: ١٦٨ وقال: سنده صحيح، وكذلك قال في التيسير ١: ٨٥٥؛ وقال العجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٥: ولكنه يتقوى بتعدد طرقه الكثيرة.

وقد حاول المناوي في التيسير الجمع بين رواية الأربعين ورواية الثلاثين فقال: «لا ينافي خبر الأربعين خبر الثلاثين؛ لأن الجملة أربعون رجلاً، فثلاثون على قلب إبراهيم، وعشرة ليسوا كذلك»[(١)].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان فتنة تحصل الناس كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام، ولكن سبُّوا شرارهم، فإن فيهم الأبدال...»[(٢)].

وجاء موقوفًا عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال...**»[(٣)].

سادسًا: الطائفة الظاهرة على الحق والمنصورة من المسلمين في الشام:

فقد وردت جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تخبر عن طائفة من المؤمنين تحدد أوصافهم، وأعمالهم، ومكان وجودهم، وقبل أن نذكر هذه الأحاديث، نجمل ما ورد فيها من أوصاف لهذه الطائفة المؤمنة المنصورة:

- فهم من أمة سيدنا محمد ﷺ، وأعدادهم غير معروفة، فالطائفة تطلق على الواحد فصاعدًا[(٤)]، من العلماء من قال: أنهم

---

(١) التيسر شرح الجامع الصغير ١: ٨٥٦.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٦١٦ برقم ١٢٤١٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة، وهو لين، وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك ٤: ٥٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: الديباج للسيوطي٤: ٥١١.

المجتهدون من أهل العلم[١]، ومنهم من قال: هم أهل السنة والجماعة من أهل الحديث[٢]، ومنهم من قال: الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض[٣].

- ومن أوصافهم: أنهم قائمون بتنفيذ أوامر الله تعالى وملتزمون بشرعه، غالبون لأعدائهم وظاهرون عليهم.
- لا يضرهم من خذلهم وترك نصرتهم ليقينهم بنصر الله لهم.
- ولا يضرهم كذلك من خالف منهجهم، ليقينهم على أنهم على الحق.
- ثابتون على منهجهم إلى أن يلقوا ربهم.
- طائفة منهم تكون مع سيدنا عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض، فيقاتلون معه، حتى يقتل الدجال.
- لن تخلو الأرض من هذه الطائفة المؤمنة حتى اقتراب قيام الساعة.

---

(١) انظر: عمدة القاري للعيني ٣: ١٨٥؛ والديباج على صحيح مسلم للسيوطي ٤: ٥١١ فقد نقل عن البخاري قوله: إنهم أهل العلم.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٣: ٦٧ نقل عن الإمام أحمد أنه قال: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟! قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ١٣: ٦٧.

• أما مكان وجودهم فبعض الروايات تشير بمنطوقها إلى أنهم في الشام، وبعضها تشير بمفهومها إلى ذلك.

فعن مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»(١).

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الله الشَّامِيِّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ حَدَّثَنِي الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: قَالَ شُعْبَةُ: يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا هُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ**»(٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي، قائمةٌ بأمر الله لا يضرُهم من خذلَهُم أو خالَفَهُم، حتى يأتي أمرُ اللهِ عز وجل وهم ظاهرون على الناس**»، فقام مالك بن يُخَامر السكسكي فقال: يا أمير المؤمنين سمعت معاذ بن جبل يقول: وهم أهل الشام، فقال معاوية ورفع صوته: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: «**وهم أهل الشام**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة برقم ١٠٣٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤: ٣٦٩؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٥٦٣ وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني. وأبو عبد الله الشامي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤: ١٠١، وقال الشيخ الأرناؤوط معلقًا عليه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

وعن جَابِر بن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ الله هَذِهِ الأُمَّةَ**»(١).

وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ**»(٣).

ولكن قد تستشكل هذه الأحاديث خصوصًا حديث جابر السابق وفيه: «**على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، بحديث عبد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يقول فيه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكْهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**»(٤)، وعند مسلم: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»(٥)، وكذلك بحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ. . . اللهُ**»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة برقم ١٥٦.
(٢) أخرجه مسلم في الإمارة برقم ١٩٢٠.
(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد برقم ٢٤٨٤.
(٤) أخرجه البخاري في الفتن برقم ٦٦٥٦.
(٥) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٩٤٩.
(٦) أخرجه مسلم في الإيمان برقم ١٤٨.

وقد أجاب عدد من العلماء على ذلك، منهم الإمام النووي رحمه الله، فقال: «فليس مخالفًا لهذه الأحاديث لأن معنى هذا: أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب»[(١)].

وأجاب القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري فقال: «وأجيب: بأن المراد من شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة قوم يكونون بموضع مخصوص، وبموضع آخر تكون طائفة يقاتلون عن الحق...، ويحتمل أن يكون ذلك... بعد موت عيسى عليه السلام بعد هبوب الريح التي تهب بعده فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ويبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة، وهناك يتحقق خلو الأرض عن مسلم فضلاً عن هذه الطائفة الكريمة، وهذا ـ كما في الفتح ـ أولى ما يتمسك به في الجمع بين الحديثين المذكورين»[(٢)].

ولعل من المناسب أن أذكر في هذا السياق كلمة العالم المجاهد ابن تيمية رحمه الله حيث قال في الشام التي أحبها ودافع عنها: «والنبي ﷺ ميَّز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائمًا إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام، فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢: ١٣٢.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ٦: ٣٦٠؛ وانظر: فتح الباري ١٣: ٨٥.

منها: العلم والإيمان والنصر والجهاد، وكذلك اليمن والعراق والمشرق، وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان ومن يقاتل عليه منصوراً مؤيداً في كل وقت»[١].

سابعًا: دمشق الشام وغوطتها فسطاط المسلمين وعقر دارهم ومعقلهم في الملاحم:

ورد في هذا المعنى عدد من الأحاديث النبوية التي تؤكد على أن دمشق الشام والغوطة التي تحيط بها ستشهد ملاحم وحروبًا كبيرة، فهي أرض الملحمة، وستكون يومئذ حصنًا للمؤمنين ومعقلاً لهم، ومنطلقًا لحروبهم وملاحمهم ضد أعدائهم، ولذلك سميت بالفسطاط، والفسطاط له معان كثيرة منها: أنه المدينة التي يجتمع فيها الناس، والحصن الذي يتحصنون به.

ولعل الترابط بين هذه المعاني وبين ما ورد في الفقرة السابقة من أن الطائفة الظاهرة على الحق والمنصورة من المسلمين هي في الشام واضح لا يحتاج لكثير تأمل وعناء.

وأما الأحاديث التي وردت في هذا المعنى:

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**فُسْطَاطُ**[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى ٤: ٤٤٩.

(٢) الفسطاط: بضم الفاء وتكسر، وبالطاء والتاء مكان الطاء، وهو المدينة التي يجتمع فيها الناس، وأبنية في السفر دون السرادق، وأخبية من نحو شعر، والمراد هنا الأول. انظر: فيض القدير ٤: ٤٢٩؛ والتيسير للمناوي ٢: ٣٢٨؛ وفي عون المعبود ١١: ٢٧٣ الفسطاط: حصن المسلمين الذي يتحصنون به وأصله الخيمة.

الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ(١) الْغُوطَةُ(٢)، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ(٣)»(٤).

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَوْفُ اعْدُدْ ستًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي»، قَالَ: فَاسْتَبْكَيْتُ حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يُسْكِتُنِي، قَالَ: قُلْتُ إِحْدَى، «وَالثَّانِيَةُ: فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، قُلْتُ: اثْنَيْنِ، «وَالثَّالِثَةُ: مُوْتَانٌ يَكُونُ فِي أُمَّتِي يَأْخُذُهُمْ مِثْلَ قُعَاصِ الْغَنَمِ، قَالَ ثَلاثًا، وَالرَّابِعَةُ: فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي أُمَّتِي، وَعَظَّمَهَا، قُلْ أَرْبَعًا، وَالْخَامِسَةُ: يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى الْمِائَةَ دِينَارٍ فَيَتَسَخَّطُهَا، قُلْ خَمْسًا، وَالسَّادِسَةُ: هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ(٥)، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً»، قُلْتُ:

---

(١) يوم الملحمة: هي الحرب، ومحل القتال، أو القتال نفسه، أو المقتلة العظمى في الفتن الآتية. انظر: فيض القدير للمناوي ٢: ٤٦٣، ٤: ٤٢٩؛ والتيسير للمناوي ٢: ٣٢٨؛ عون المعبود ١١: ٢٧٣.

(٢) الغوطة: كل مكان كثير الماء والشجر، وهي اسم للبساتين والمياه التي حول دمشق. انظر: فيض القدير للمناوي ٢: ٤٦٣ ـ ٤: ٤٢٩؛ والتيسير للمناوي ٢: ٣٢٨؛ عون المعبود ١١: ٢٧٣.

(٣) قال العلقمي: وهذا الحديث يدل على فضيلة دمشق وعلى فضيلة سكانها في آخر الزمان، وأنها حصن من الفتن، ومن فضائلها: أنه دخلتها عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ كما أفاده ابن عساكر، ودخله النبي ﷺ قبل النبوة وبعدها في غزوة تبوك وفي ليلة الإسراء، كذا في شرح الجامع الصغير للعزيزي. انظر: عون المعبود ١١: ٢٧٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥: ١٩٧ واللفظ له، وسنده صحيح على شرط مسلم (كما قال المحقق الأرناؤوط)؛ وأخرجه أبو داود في الملاحم برقم ٤٢٩٨؛ والحاكم في المستدرك ٤: ٥٣٢ برقم ٨٤٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) والمقصود منهم الروم آنذاك، واليوم يقصد منهم الغربيين، والله أعلم.

وَمَا الْغَايَةُ؟ قَالَ: «**الرَّايَةُ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ**»(١).

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي سَئِمْتُ الْخَيْلَ وَأَلْقَيْتُ السِّلاحَ، وَوَضَعَت الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، قُلْتُ: لا قِتَالَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ الله قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ الله مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلا إِنَّ عَقْرَ دَارِ(٢) الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣).

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامُ فَإِذَا خُيِّرْتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ، فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلاحِمِ(٤)**»،

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده ٦: ٢٥ برقم ٢٤٠٣١؛ والطبراني في الكبير ١٨: ٤٢ برقم ١٤٧٨١؛ وأصله في البخاري في الجزية برقم ٣٠٠٥ دون زيادة: «فسطاط... الخ».

(٢) عَقر دار الإسلام: أي أصله وموضعه، فتكون الشام زمن الفتن محل أمن، وأهل الإسلام به أسلم، قال في الفردوس: عقر الدار مفتوح العين: أصلها، والعقر والعقار خيار كل شيء وأصله. انظر: فيض القدير للمناوي ٤: ٣١٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤: ١٠٤ برقم ١٧٠٠٦؛ النسائي في الخيل برقم ٣٥٦١؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٦ برقم ٧٣٠٧ بسند صحيح.

(٤) المعقل: بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف، والمراد منه: الملجأ الذي يتحصن المسلمون به، ويلتجئون إليه. انظر: عون المعبود ١١: ٢٧٣.

وَفُسْطَاطُهَا مِنْهَا، بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ»[١]، وعن سلمة بن نُفَيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عقر**[٢] **دار الإسلام بالشام**»[٣].

وعَنْ مَكْحُولٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَوْضِعُ فُسْطَاطِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلاحِمِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ**»[٤].

وعن صدقة بن خالد عن النبي ﷺ قال: «**معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق**»[٥].

ثامنًا: خيار المؤمنين يهاجرون إلى بلاد الشام:

سبق الكلام في الفقرتين السابقتين عن الأحاديث النبوية التي بينت أن الطائفة المنصورة الغالبة لأعدائها، المعتزةَ بدينها ومبادئها هي في الشام، وأن معقل المسلمين وفسطاطهم وأرض ملاحمهم مع أعدائهم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤: ١٦٠ برقم ١٧٥٠٥ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي بكر ابن أبي مريم؛ وذكره الهيثمي في المجمع ٧: ٥٦٦ برقم ١٢٢٥٨ وقال: رواه أحمد وفيه أبو بكر ابن أبي مريم وهو ضعيف؛ قلت: لعل تصحيح الشيخ الأرناؤوط للحديث إنما كان لغيره من الأحاديث التي وردت بالمعنى نفسه.

(٢) سبق بيانه في ص ٤٩.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ٤٠ برقم ١٦٦٥٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه أبو داود في السنة برقم ٤٦٤٠ والحديث مرسل.

(٥) قال يحيى بن معين وقد ذكروا عنده أحاديث من ملاحم الروم، فقال يحيى: ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث صدقة بن خالد... انظر: عون المعبود لمحمد آبادي ٣: ٣٤٢.

سيكون يومئذ في دمشق الشام والغوطة التي تحيط بها، ويأتي الحديث هنا ليؤكد أن خيار المؤمنين من أهل الأرض يهاجرون إلى بلاد الشام ويلحقون بها، ولعلنا نستطيع مما سبق أن نتفهم هذه الهجرة لخيار المؤمنين لبلاد الشام، فعلمهم بمكانة هذه البقعة التي اختارها الله تعالى لأكثر رسالاته والبركة التي جعلها الله فيه، ووقوع الملاحم الكبرى مع أعداء الإسلام سيدفعهم للهجرة إليها للقيام بواجب الجهاد والدفاع عن مقدساتهم وإخوانهم.

وستكون هذه الهجرة في الوقت الذي يتكالب فيه أعداء الإسلام على أرض المسلمين ومقدساتهم، ويصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم، فمن مضى إلى الجهاد مهاجرًا كان من خيار الأمة، ومن تخلف عنه فقد كره الله خروجه وانبعاثه، ولم يوفقه لهذا الفضل والأجر العظيم، وما ذلك إلا لضعف إيمانه ونفاقه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**يأتي على الناسِ زمانٌ لا يَبْقى فيهِ مؤمنٌ إلا لحقَ بالشامِ**»(١).

وعن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية، قال: قلت: لو خرجت إلى الشام فتنحيت من شر هذه البيعة، قال: فخرجت حتى قدمت الشام، فأخبرت بمقام يقومه نوف، فجئته

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١: ٣٧٣ برقم ٢٠٧٧٨؛ والحاكم في المستدرك ٤: ٥٠٤ برقم ٨٤١٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فبينا أنا عنده، إذ جاءه رجل فاسد العينين، عليه خميصة، وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما رآه نوف، أمسك عن الحديث، فقال له عبد الله: حدث بما كنت تحدث به، فقال: أنت أحق بالحديث مني، أنت صاحب رسول الله ﷺ، قال عبد الله: إن هؤلاء منعونا عن الحديث ـ يعني الأمراء ـ قال: أعزم عليك إلا حدثتنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ**[(١)]، **وَتَحْشُرُهُمْ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ**»[(٢)]، وزاد البغوي:

---

(١) قال البغوي في شرح السنة ١٤: ٢١٠: قوله: «تقذرهم نفس الله» تأويله: أن الله يكره خروجهم إليها ومقامهم بها، فلا يوفقهم لذلك، فصاروا بالرد كالشيء يقذره نفس الإنسان فلا يقبله، وهذا مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

وفي عون المعبود ٧: ١١٤ ـ ١١٥: (تلفظهم): بكسر الفاء أي تقذفهم وترميهم...، (أرضوهم): جمع أرض، (تقذرهم): بفتح الذال المعجمة أي: تكرههم، (نفس الله): بسكون الفاء أي ذاته تعالى. قال في النهاية: يقال قذرت الشيء أقذره، إذا كرهته واجتنبته، (وتحشرهم النار مع القردة والخنازير) أي تجمعهم وتسوقهم النار، فيفرون هؤلاء والشرار مخافة النار مع البهائم من القردة والخنازير، والنار لا تفارقهم بحال، وليس هذا حشر يوم القيامة وإلا قيل تحشر شرار أهلها إلى النار ولا يقال تحشرهم النار، ولقوله في بعض الروايات: «تقيل معهم» فإنه يدل على أن النار ليست حقيقة بل نار الفتنة... كلام الطيبي ملخصًا محررًا، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ٨٢ برقم٥٥٦٢، وأبو داود في الجهاد برقم ٢٤٨٢؛ والحاكم في المستدرك ٤: ٥٣٣ برقم ٨٤٩٧ وسكت عنه الذهبي؛ وفي اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٨: ١١٨ قال: رواه أبو داود الطيالسي ورواته ثقات؛ وأخرجه البغوي في شرح السنة ١٤: ٢٠٩؛ وذكره الهيثمي ٥: ٤٥٨ برقم ٩٢٨٥ وقال: رواه أحمد=

«تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلَّف»[(١)].

وقد تستشكل هذه الأحاديث التي تتحدث عن الهجرة إلى الشام مع ما ورد في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[(٢)]، ويتوهم بينها التعارض.

وليس كذلك، فقد نقل الإمام ابن حجر والعيني توفيق الإمام الخطابي وغيره بين هذه الأحاديث، وملخصه: أن الهجرة كانت فرضًا في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو.

وكذلك ليسلم بالهجرة من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها.

كما أن مفارقة البلاد بسبب الجهاد، والمفارقة بسبب نية صالحة، كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم، والفرار بالدين من

= وفيه أبو جناب الكلبي وهو ضعيف؛ قال ابن حجر في الفتح ٦: ١٥٤: سنده لا بأس به؛ والحديث يتقوى بشواهده، تنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٧: ٦.

(١) شرح السنة للبغوي ١٤: ٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير برقم ٢٦٣١؛ ومسلم في الحج برقم ١٣٥٣ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الفتن، والنية في جميع ذلك، وقوله: «**وإذا استنفرتم فانفروا**» قال النووي: يريد أن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه(١).

تاسعًا : أجناد الشام خير أجناد الأرض بين يدي الساعة :

لا تنفصل هذه الميزة والخصيصة لأهل الشام عن سابقها، فقد سبق أن أشرنا إلى النصوص النبوية التي تحدثت عن الطائفة الظاهرة على عدوها وأنها في الشام، وأن الشام هي معقل المسلمين وفسطاطهم وعقر دارهم، وأرض الملاحم، وفيها تقع الملحمة الكبرى مع العدو، وأن خيار الناس يهاجرون إلى الشام، وهنا نجد أن النبي ﷺ يخبر عن غيب لم يكن، وهو أن تآلفًا بين خيار المؤمنين المجاهدين يتكون منه جند الشام الذين يقومون بالدفاع عنها وعن أهلها، وكذلك جند في العراق، وجند في اليمن.

ويؤكد النبي ﷺ في هذه النصوص على اللحاق بجند الشام، مما يدل على تكالب أعداء الإسلام عليها، وأهمية حسم هذه الملحمة التي ستكون في هذه البقعة المباركة لصالح المؤمنين.

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ حَوَالَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: فَخِرْ لِي يَا رَسُولَ الله إِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكَ بِالشَّامِ، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، . . . ثَلاثًا،**

(١) انظر: فتح الباري ٦ : ٣٨؛ وعمدة القاري ١ : ٦٢، بتصرف.

عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»(١).

وعن العِرْبَاض بنِ سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قام يومًا في الناس فقال: «**يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجنادًا مجندة؛ جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن**»، فقال ابن حوالة: يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان فاختر لي، قال: «**إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين، وصفوة الله من بلاده، يجتبي إليها صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بِيَمَنِهِ وليَسْقِ من غُدُرِه، فإن الله قد تكفَّلَ لي بالشام وأهله**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا وَقَعَتْ الْمَلاحِمُ بَعَثَ الله من دمشق بَعْثًا مِنَ الْمَوَالِي، أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُ سِلاحًا، يُؤَيِّدُ الله بِهِمْ الدِّينَ**»(٣).

عاشرًا: أهل الشام سوط الله في الأرض:

وهذه الخصيصة لأهل الشام أيضًا هي من أعلام النبوة، ولا تنفصل عما سبقها، ولا بد من التأكيد على أن المراد من أهل الشام

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده في موضعين ٤: ١١٠ و٥: ٢٨٨ واللفظ له؛ وأبو داود في الجهاد برقم ٢٤٨٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٦: ٢٩٥ برقم ٧٣٠٦؛ والحديث صحيح بطرقه.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠: ٣٧ برقم ١٦٦٤٨ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الفتن برقم ١٩٢٥ ولم يذكر لفظة: (من دمشق) قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد حسن؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٥٩١ برقم ٨٦٤٦ وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح على شرط مسلم.

هنا الخيار والصلحاء، وربما يكون في ذلك إشارة إلى الطائفة الظاهرة على الحق كما سبق.

فعن خُرَيْم بن فَاتِك الأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] قال: «**أَهْلُ الشَّامِ سَوْطُ الله فِي الأَرْضِ**[٢]، **يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّن يَشَاءُ**[٣] **كَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ**[٤] **أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ**[٥]، **وَلَنْ يَمُوتُوا**[٦] **إِلاَّ هَمًّا**[٧] **أَوْ غَيْظًا**[٨] **أَوْ حُزْنًا**»[٩].

وفي المعجم الكبير الطبراني: عن خريم بن فاتك الأسدي صاحب رسول الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن**

---

(١) صحابي، روى له الأربعة، وكان ممن شهد بدرًا كما ذكر البخاري وغير واحد، وهو الصحيح. انظر: تهذيب الكمال ٨: ٢٣٩.

(٢) أي: عذابه الشديد يصبه ويرسله على من يشاء من العبيد. فيض القدير للمناوي ٣: ٦٦؛ والتيسير للمناوي ١: ٧٧٨.

(٣) أي: يعاقب بهم من يشاء. فيض القدير ٣: ٦٦؛ والتيسير ١: ٧٧٨.

(٤) أي: يمتنع عليهم ذلك. فيض القدير ٣: ٦٦؛ والتيسير ١: ٧٧٨.

(٥) أي: ينتصروا ويتغلبوا عليهم، ولعل المراد الظهور المطلق، أي: في كل الأحوال وفي كل الأزمان.

(٦) أي: منافقو أهل الشام.

(٧) أي: قلقًا. فيض القدير للمناوي٣: ٦٦؛ والتيسير ١: ٧٧٨.

(٨) أي: غضبًا شديدًا. فيض القدير ٣: ٦٦؛ والتيسير ١: ٧٧٨.

(٩) أخرجه أحمد ٢: ٤٩٩ برقم ١٦١٠٩ موقوفًا؛ وذكره الهيثمي ١٠: ٣٩ برقم ١٦٦٥٥ وقال: رواه الطبراني وأحمد موقوفًا عن خريم، ورجالهما ثقات؛ وقد رمز له السيوطي بالصحة. وقد أخرجه أيضًا: البغوي والضياء والباوردي وابن عساكر كما ذكر السيوطي في جامع الأحاديث ١٠: ٢٣٣، وأخرجه ابن حبان في الثقات ٤: ٢٨ ترجمة ١٦٨٩.

يظهروا على مؤمنيهم، ولا يموتوا إلا غمًّا[١] وهمًّا»[٢].

حادي عشر : إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم :

فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أي كربًا ووهنًا. فيض القدير للمناوي ٣: ٦٦، والتيسير له أيضًا ١: ٧٧٨.
خرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤: ٢٠٩ برقم ٤١٦٤ مرفوعًا، ورجاله سنده ثقات كما قال الهيثمي ١٠: ٣٩.

(٣) قرة بن إياس بن هلال بن رياب المزني، قال البخاري وابن السكن: له صحبة، وقد روى عنه ابنه معاوية، كان في وفد المزنيين ودعا له رسول الله ﷺ واستغفر له، روى له البخاري في الأدب وكذلك روى له الباقون إلا مسلم. انظر: تهذيب الكمال ٢٣: ٥٧٢؛ والإصابة ٥: ٤٣٣.
وقد كان لأستاذنا الدكتور صلاح الدين الإدلبي (حفظه الله) في كتابه كشف المعلول ص ١٥٢ ـ ١٥٣ رأي في صحة الحديث، فأعله سندًا ومتنًا، أما علة السند برأيه فهي الانقطاع، فقد ورد أن معاوية بن قرة بن إياس سئل عن أبيه: له صحبة ؟. فقال: «لا، ولكنه كان على عهده قد حلبَ وصَرَّ». [يعني أنه قد وصل إلى سن يقدر فيها على حلب الناقة، وعلى شد ضَرعها بالصِّرار لئلا يرضعها ولدها]. وقال معاوية بن قرة: كان أبي حدثنا عن النبي ﷺ، فلا أدري أسمعه منه أو حُدث عنه؟. رواهن الإمام أحمد [٤: ١٩] بأسانيد صحيحة.
والحق أن بين الأثرين عن معاوية نوعًا من التناقض، ففي الأول يصرح بعدم صحبة أبيه للنبي ﷺ، وفي الثاني يروي عن أبيه ما حدث به عن النبي ﷺ غير متأكد من سماع أبيه من النبي ﷺ، وكل الروايات تؤكد أن قرة قدم مع وفد مزينة وبايعوا النبي ﷺ، ودعا له النبي ﷺ واستغفر، فالأقرب إثبات صحبة قرة للنبي ﷺ وحمل كلام معاوية في نفي صحبة أبيه على الاجتهاد منه، وأما رواية قرة عن النبي ﷺ فسواء سمع ذلك من النبي ﷺ أم لم يسمع فلا يضر، لأن مرسل الصحابي صحيح، والصحابة كلهم عدول، ولا يضر أن يروي بعضهم عن بعض دون التصريح بمن رووا عنه، وهذا ما يسميه علماء المصطلح بمرسل الصحابي، وهو مقبول على الصحيح من قول العلماء سواء صرح الصحابي عمن روى أم لم يصرح. انظر: تدريب الراوي ١: ٢٠٧.
وأما إعلال المتن لغرابة المعنى فلا يكفي للحكم بضعف الحديث، خصوصًا إذا كان=

«إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلا خَيْرَ فِيكُمْ، لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

هذا الحديث يأتي في سياق بيان فضل أهل الشام، ولكنني لم أرد أن أضع عنوانًا تفسيريًّا لهذه الفقرة، وذلك لأن فهم الحديث على ظاهره فيه إشكال، ولا بد من قدح الذهن لفهمه، بعد إثبات صحته، فلذلك سأضع جملة من التأويلات ثم أختار ما أراه أقرب للصواب مع انسجامه مع السياق العام للأحاديث السابقة.

ومن هذه التأويلات أن نقول:

١ـ فساد أهل الشام بعد صلاحهم مؤشر على فساد أكثر الأمة، مع بقاء طائفة منهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

٢ـ إذا صار الفساد في أهل الشام التي بارك الله فيها، فعندئذ يقل الخير من الدنيا، مع بقاء طائفة منهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

٣ـ إذا وقع ما يفسد أهل الشام أو يفسد دينهم فلا خير فيكم إن لم تهبوا لنجدتهم ونصرتهم وتعينوهم على استعادة صلاح أمورهم.

= هناك مجال لفهم الحديث بطريقة صحيحة لا تتعارض مع الثوابت والمسلمات، والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٤٣٦ برقم ١٥٦٣٤؛ والترمذي في الفتن برقم ٢١٩٢ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَاب عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوَالَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٩: ٢٧؛ وابن أبي شيبة ١٢: ١٩٠؛ وابن حبان ١٦: ٢٩٢؛ وأبو داود الطيالسي في مسنده ص١٤٥.

٤ـ إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم إن قعدتم فيها أو توجهتم إليها[١].

ومما سبق أرى أن أبعد المعاني عن الصواب هو ما ذكر في الفقرة الرابعة، وذلك لأن الأحاديث التي وردت في الدعاء لأهل الشام والحض على الهجرة إليها، وأنها معقل المسلمين وفسطاطهم وعقر دارهم، وأن الخيار يهاجرون إليها... إلى آخر هذه المعاني التي سبق ذكرها، تفند هذا الفهم للحديث.

وأرى أن أقربها للصواب هو ما ذكر في الفقرة الثالثة، وذلك لما سبق من الأحاديث التي تحض على الهجرة لبلاد الشام، وأن الخيار يهاجرون إليها، وأنها أرض الملاحم... الخ، فهو إذاً من قبيل الحض على نصرة أهل الشام وعدم خذلانهم، والله أعلم.

ثاني عشر : نزول عيسى عليه السلام في دمشق من بلاد الشام :

نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة الشرقية في دمشق من بلاد الشام خصيصة من خصائصها، كما أنه شرط من أشراط الساعة الكبرى، أخبر عن ذلك النبي ﷺ، فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ**»؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ : فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،**

(١) هكذا فهم المباركفوري في تحفة الأحوذي ٦ : ٣٥٩.

وَثَلاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[1].

وقد ثبت ذلك في كتاب الله تعالى، بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: وما من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ بعيسى عليه السلام، هذا قول أكثر المفسرين وأهل العلم، وقوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ اختلفوا في هذه الكناية: فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: إنها كناية عن الكتابي، ومعناه: وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمننّ بعيسى عليه السلام قبل موته،... وذهب قومٌ منهم: ابن عباس وأبو هريرة والحسن البصري وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم إلى أن الهاء في ﴿مَوْتِهِۦ﴾ كناية عن عيسى عليه السلام، معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى عليه السلام، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة، ملة الإسلام، وقد اختار ابن جرير وابن كثير هذا القول ورجحوه[2].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: عيسى عليه السلام، ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، يعني: نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة:

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٩٠١.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٢: ٣٠٧ ـ ٣٠٨؛ وتفسير ابن كثير ٢: ٤٥٢.

﴿وإنه لعَلَم للساعة﴾ بفتح اللام والعين، أي: أمارة وعلامة[١].

وقد أخبرنا الله تعالى عن رفع سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء بقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

كما تواترت الأحاديث الصحيحة الصريحة عن النبي ﷺ بنزول سيدنا عيسى عليه السلام، من هذه الأحاديث:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[٢].

وبلفظ آخر: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَن يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ...**»[٣].

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالله لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاصُ فَلا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ**»[٤].

---

(١) تفسير البغوي ٧: ٢١٩، وليست هذه القراءة من العشر المتواترة.

(٢) أخرجه البخاري في المظالم والغصب برقم ٢٣٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع برقم ٢١٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان برقم ١٥٥.

وقد بينت الأحاديث المكان الذي ينزل فيه عيسى عليه السلام، فعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «... **فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ**[(١)]**، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ...**»[(٢)].

وعن أوس بن أوس الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ينزل عيسى ابن مريم عليهما السلامُ عند المنارةِ البيضاء شرقي دمشق**»[(٣)].

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا وَالله لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ الله عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ الله، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ**

---

(١) المهرود: الثوب المصبوغ بالزعفران ونحوه.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٩٣٧؛ وأبو داود في الملاحم برقم ٤٣٢١؛ والترمذي في الفتن برقم ٢٢٤٠؛ وابن ماجه في الفتن برقم ٤٠٧٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير؛ وذكره الهيثمي في المجمع ٨: ٣٧٧ برقم ١٣٨٩٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز لصحته.

صَاحَ فِيهِم الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُم يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَت الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ، فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِن يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِم دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[1].

ثالث عشر: إقامة مهدي الزمان وإمامته في دمشق من بلاد الشام:

ورد في إثبات ظهور المهدي في آخر الزمان أحاديث كثيرة، منها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وشديد الضعف الذي لا يصح الاحتجاج به، وقد كان للناس فيه مواقف متباينة، فمنهم من أنكره، ومنهم من شذ وانحرف في معتقده فيه، ومنهم من أثبته وقال بتواتر الأحاديث المثبتة لظهوره.

ولست هنا بصدد التوسع في هذا الموضوع، فقد قام ببحثه قديمًا وحديثًا عدد من العلماء، ولكن أشير إلى بعض من قال بتواتر أحاديث المهدي من العلماء للمراجعة والتثبت من ذلك.

فمنهم محمد البرزنجي في كتابه الإشاعة في أشراط الساعة، ومحمد السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية، والشوكاني في كتابه: التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح، وحسن القِنَوجي في كتابه: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ومحمد بن جعفر الكتاني في كتابه: نظم المتناثر في الحديث المتواتر.

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٨٩٧.

وخلاصة ما ورد في المهدي من الأحاديث: أنه رجل من أمة سيدنا محمد ﷺ، ومن أهل بيته نسبًا، وأن اسمه محمد بن عبد الله، له صفات خَلْقية محددة، يصلحه الله في ليلة، يظهر في المشرق من خراسان، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويكثر الخير في زمانه، يمكث في قيادة الأمة خمسًا أو سبعًا أو تسعًا، يظهر الدجال في زمانه، كما ينزل سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام بينما هو يصلي بالمسلمين إمامًا في دمشق.

وفيما يلي أذكر جملة من الأحاديث التي تبين ذلك:

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»[(١)].

وعَن عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**»[(٢)].

وعَن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»[(٣)].

وعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود في المهدي برقم ٤٢٨٢.

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن برقم ٢٢٣١ وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في المهدي برقم ٤٢٨٤؛ وابن ماجه في الفتن برقم ٨٠٨٦.

«**الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ**»[(١)]، وعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ، يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا**»[(٢)]، والشك من الراوي.

وعَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ**»[(٣)].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبوًا، فإن فيها خليفة الله المهدي**»[(٤)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا**»[(٥)] يعني: حججًا.

---

(١) أخرجه أبو داود في المهدي برقم ٤٢٨٥؛ وابن ماجه في الفتن برقم ٤٠٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن برقم ٢٢٣٢ وقال: هذا حديث حسن، وقد روي الحديث من غير وجه عن أبي سعيد.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١: ٨٤ ؛ وابن ماجه في الفتن برقم ٤٠٨٥. وفي إسناده مقال وقد صححه الألباني في السلسلة ٢٣٧١. قال ابن كثير: يصلحه الله في ليلة أي: يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك. الفتن والملاحم ١: ٥٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٥٤٧ برقم ٨٥١٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٦٠١ برقم ٨٦٧٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وأما إمامته للمسلمين عند نزول سيدنا عيسى ابن مريم في المنارة الشرقية من دمشق فقد ورد عدة أحاديث تشير إلى ذلك، وقد نقل ابن حجر في الفتح عن الحسن الخَسْعِيّ الآبدي في مناقب الشافعي قوله: «تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه»[(١)]، ومن هذه الأحاديث:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟**»[(٢)].

عن جَابِر بن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ الله هَذِهِ الأُمَّةَ**»[(٣)].

وعن عبد الله بن زرير الغافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «**ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبُّوا أهل الشام وسُبُّوا ظلمتهم، فإن فيهم الأبدال، وسيرسل الله إليهم سيبًا من السماء فيغرقهم، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفًا إن قلوا، وخمسة عشر ألفًا إن كثروا، إمارتهم أو علامتهم: أمت أمت، على ثلاث رايات، يقاتلهم أهل سبع رايات، ليس من**

(١) فتح الباري ٦: ٤٩٣ ـ ٤٩٤.
(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم ٣٢٦٥؛ ومسلم في الإيمان برقم ١٥٥.
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان برقم ١٥٦.

صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك، فيقتتلون ويهزمون، ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى الناس إلفتهم ونعمتهم، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال»[(١)].

رابع عشر : اختصاص الله للشام لتكون أرض المحشر والمنشر :

دلت الأحاديث النبوية على أن المكان الذي يكون إليه حشر الناس في آخر الزمان هو أرض الشام، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ**[(٢)]، **أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»[(٣)].

وكذلك حديث بَهْز عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**هَاهُنَا**» وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالاً وَرُكْبَانًا وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ**»[(٤)].

وقد قال الحافظ ابن حجر: «وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك ٤: ٥٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) وقد تكون هذه النار على الحقيقة أو على الكناية ويراد منها الفتنة، ولكن سبب هجرة الناس إلى بلاد الشام هو أن الفتنة فيها أقل من غيرها يومئذ. انظر: فتح الباري ١١: ٣٨٠؛ وتحفة الحوذي ٦: ٣٨٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢: ٥٣ بسند صحيح؛ والترمذي في الفتن برقم ٢٢١٧ وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٣ واللفظ له؛ والترمذي في صفة القيامة برقم ٢٤٢٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «من شك أن المحشر هاهنا، يعني الشام، فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ: «**اخرجوا**»، قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى أرض المحشر**»[(١)].

وكذلك أخبر النبي ﷺ أن الشام هي البقعة التي يجمع الناس فيها إلى الحساب وينشرون من قبورهم، ثم يساقون إليها، وقد خُصت الشام بذلك لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها فانتشرت في العالم شرائعهم، فناسب كونها أرض المحشر والمنشر[(٢)]، فعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشام أرض المحشر والمنشر**»[(٣)].

** ** **

(١) فتح الباري ١١: ٣٨٠.

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي ٤: ١٧١؛ والتيسير للمناوي٢: ١٥٨.

(٣) أخرجه البزار في مسنده ٢: ٩١؛ وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لأبي الحسن ابن شجاع الرَّبَعي (نسبة إلى ربيعة بن نزار) في كتابه فضائل الشام، ونقل العجلوني في كشف الخفاء ٢: ٢ فقال: قال ابن الغرس قال شيخنا: والحديث حسن لغيره؛ وقد صحح الشيخ الألباني الحديث في تخريجه لأحاديث فضائل الشام ودمشق ص ١٣.

خاتمة

بعد هذه الجولة المباركة بين آيات الله تعالى وأحاديث النبي المصطفى ﷺ فيما يتعلق ببلاد الشام أسجل أهم النقاط التي أعتبرها خلاصة لهذا البحث فأقول:

ـ أرض الشام هي أرض الرسالات ومهد أكثر النبوات، وما من أهل ملة ودين سماوي إلا ويعلمون لهذه البقعة من الأرض مكانتها.

ـ بلاد الشام هي الرقعة المكانية الواسعة التي تتجاوز الحدود المصطنعة، لتشمل سوريا والأردن ولبنان وفلسطين مضافًا إليها ما أخذ من شمالها، وما اغتصب من أرضها.

ـ فضائل بلاد الشام متوافرة في كتاب الله تعالى وفي سنة النبي ﷺ، وما أشير إليها في القرآن وإلا ووصفت بالبركة، التي تعني النماء والزيادة والسعادة، وتتجلى بركتها ببعثة أكثر الأنبياء فيها، وانتشار شرائعهم وآثارهم، كما تظهر أيضًا في كثرة الخيرات المتوافرة فيها من ماء وشجر وثمر وطيب عيش.

ـ ليست الأحاديث التي وردت في فضل بلاد الشام من صنع الصانعين ولا من وضع الأمويين، إنما هي من أقوال سيد المرسلين، بل هي معجزة من معجزاته وعلم من أعلام نبوته ﷺ.

ـ الحديث عن فضل بلاد الشام لا ينفي خصوصية وفضل مكة المكرمة وطيبة الطيبة، فهما مهد الإسلام، وثبوت المزية لغيرهما لا

ينفي الخصوصية لهما، كما قالوا.

ـ أرض الشام هي الأرض التي أحبها النبي ﷺ فأضافها لنفسه، ودعا لها، ونصح أصحابه بالهجرة إليها، خصوصًا عند الفتن، فهي ملاذ المؤمنين عند وقوعها، مما يدل على أن الفتن التي تحدث فيها إنما هي مؤقتة عابرة، لا بد أن تنجلي وإن طال أمدها.

بل إنه ﷺ يؤكد أن الشام معقل الإسلام والمسلمين، وفسطاطهم وعقر دارهم، وأن الله تكفل بها وبأهلها، وأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها، وأن الأبدال الصلحاء فيها، وأن الطائفة الظاهرة على الحق المنصورة على أعدائها منها، وأن خيار المؤمنين يهاجرون إليها، وأن خير الأجناد أجنادها، وأن أهلها سوط يسلطه على أعدائه، وأن الملحمة الكبرى ستقع فيها.

ـ فضل بلاد الشام وتميزها لا يبرر لبعض أهلها ما هم عليه من فساد وظلم وانحراف، بل من كفر وضلال، لأن الأماكن الطاهرة المقدسة لا تقدس ساكنيها، إنما تقدسهم أعمالهم الصالحة، فحري بكل من انتسب إلى هذه الأرض الطيبة المباركة أن يكون على مستوى المنحة الربانية التي أكرمه الله بها، وأن يبذل أقصى جهد البشر لينال ما وعد به القدر.

أخيرًا:

اللهَ أسأل أن يفرج عن الشام وأهله ما حل بهم من ظلم وبلاء واعتداء، وأن يعيد لهم ما سلب من أرضهم ومن كرامتهم إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الفهارس

١ـ فهرس الآيات

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا	١٤٤	٢٨
وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ	٢٥٢	٢٢

سورة آل عمران

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ	٥٥	٦٠

سورة النساء

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ	١٥٩	٥٩

سورة المائدة

يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ	٢١	٢٠

سورة الأعراف

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ	١٣٧	١٩

سورة التوبة

وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ	٤٦	٥٠ و٥١ح

سورة يونس

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ	٩٣	٢١
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ	١٣٧	١٩

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ	١	٢٧

سورة مريم

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا	٢٤	٢٤

سورة الأنبياء

وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ	٧١	١٧
وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى	٨١	٢٣

سورة المؤمنون

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ	٥٠	٢٣

سورة الشعراء

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	٢٢	١٨

سورة القصص

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ	٧	١٨
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ	٨	١٨

سورة العنكبوت

فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ ...	٢٦	١٧

سورة سبأ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى	١٨	٢٦

سورة الزخرف

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ	٦١	٥٩

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية والآثار

لفظ الأحاديث والآثار	الصفحة
الأبدال في أهل الشام	٣٩
الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً	٤٠
الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً	٣٨
اخرجوا	٦٧
إذا رأيت الرايات السود خرجت من قبل خراسان فاتوها	٦٤
إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم	٥٧
إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي	٥٤
الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين	٤٨
إن في أمتي المهدي يخرج	٦٤
إن الأرض لا تقدس أحدًا	٨
أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده	٢٨
إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي	٣٣
إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب	٣٤
أهل الشام سوط الله في الأرض	٥٥
أهل الشام سوط الله في أرضه	٥٥
بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي	٣٣

لفظ الأحاديث والآثار	الصفحة
دعوة أبي إبراهيم	٧
رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي	٣٥
رأيت فيما يرى النائم كـأن الملائكة حملت عمود الكتاب فوضعته بالشام	٣٥
رأيت ليلة أسري بي عمودًا أبيض	٣٤
ستخرج نار من حضرموت	٣٦ و٦٦
ستفتح عليكم الشام، فإن خيرتم المنازل فيها....	٣٧ و٤٨
ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحل الذهب في المعدن	٤١ و٦٥
ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم	٥١
سيكون جند بالشام وجند باليمن	٣٠ و٣٦ و٥٣
الشام أرض المحشر والمنشر	٦٧
طوبى للشام، طوبى للشام	٣٢
عقر دار الإسلام بالشام	٤٩
فسطاط المسلمين يوم الملحمة الغوطة	٤٦
فبينما هو كذلك	٦١
كيف أنتم إذا نزل ابن مريم ؟	٦٥
لا تسبوا أهل الشام جمًا غفيرًا	٣٩
لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله	٤٣
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين	٤٣

لفظ الأحاديث والآثار	الصفحة
لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة	٤٣ و٦٥
لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق	٤٤
لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس	٤٤
لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق	٦١
لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا	٦٠
لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله.. الله	٤٤
لا هجرة بعد الفتح	٥٢
لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم	٣٩
لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن	٤٠
اللهم بارك لنا في شامنا	٧ و٣١
لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني	٦٣
ما تذاكرون	٥٨
معقل المسلمين أيام الملاحم	٤٩
من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء	٤٤
المهدي من عترتي	٦٣
المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة	٦٤
المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف	٦٤
موضع فسطاط المسلمين	٤٩

لفظ الأحاديث والآثار	الصفحة
هاهنا	٣٧ و٦٦
هو الجدول، النهر الصغير	٢٤
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم	٦٠
والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً	٦٠
يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجنادًا مجندة	٣٠ و٣٦ و٥٤
يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام	٥٠
يا عوف اعدد ستًا بين يدي الساعة	٤٧
يا كعب ألا تحول إلى المدينة ؟	٣٨
يخرج في آخر أمتي المهدي	٦٤
يكون في آخر الزمان فتنة تحصل الناس كما يحصل الذهب في المعدن	٤١
يلي رجل من أهل بيتي	٦٣
ينزل عيسى ابن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء	٦١

٣ـ فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.
- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لمحمد بن درويش بن محمد الحوت، نشر دار الكتب العلمية.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت٨٥٢هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل ـ بيروت، ط/١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.
- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض أبو الفضل عياض اليحصبي ت ٥٤٤ هـ، ٨ أجزاء.
- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ، تحقيق: علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، ط/١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، الكتاب مذيل بحواشي المحقق علي شيري

- تاريخ فلسطين القديم لمظهر فضل خان، نشر دار النفائس ـ بيروت، ط٣/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨١م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر: مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.
- الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ت ٦٥٦ هـ، بعناية مصطفى عماره، طبع دار الإخاء ـ بيروت.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام المنذري عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد، بتحقيق: إبراهيم شمس الدين، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/ ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤ هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبع: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي أبو الفضل، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- البحر المديد، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، نشر دار الكتب العلمية ـ

بيروت، ط٢/ ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

- معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، تحقيق: محمد عبد الله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤/ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.
- مفاتيح الغيب، المعروف بتفسير الفخر الرازى، محمد بن عمر ابن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، نشر دار إحياء التراث العربى.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري [٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ]، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار

الكتب العلمية ـ بيروت، ط/١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف ابن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ط/١٣٨٧هـ.
- تهذيب الكمال مع حواشيه، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ت ٧٤٢هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١/ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، نشر مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض، ط٣/ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، للإمام ابن قيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ت٧٥١هـ، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط/ ١٤١٥ ـ ١٩٩٥م.
- السلسلة الصحيحة؛ لمحمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتبة المعارف ـ الرياض، ط١/١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، بتحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ.
- سنن أبي داود، ترقيم محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

- السنن الكبرى للإمام أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ، طبع دار الفكر.
- سنن النسائي الكبرى للإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، بتحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي.
- سنن الترمذي، تحقيق وترقيم أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي ت ١٠٤٤هـ، نشر دار المعرفة ـ بيروت، ط/ ١٤٠٠هـ.
- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية/ ١٣٩٢هـ.
- شرح السنة، للإمام البغوى الحسين بن مسعود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- الصحاح في اللغة، للجوهري.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢/١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣.

- صحيح البخاري، تحقيق: الدكتور البغا، دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ـ ط٣ـ ١٤٠٧.
- صحيح مسلم، ترقيم عبد الباقي، دار إحياء التراث ـ ط١ ـ ١٣٧٥هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العيني.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤١٥هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، ط/ ١٣٧٩هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، طبع المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى / ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، طبع دار إحياء التراث العربي.
- كشف المعلول للدكتور صلاح الدين الإدلبي، طبع دار ابن حزم.

- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، طبع دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، طبع دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٢ هـ.
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس.
- المسالك والممالك للاصطخري
- المستدرك للحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله أبو عبد الله، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، نشر مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.
- مسند البزار، للإمام أَبي بَكْرٍ أَحْمَد بن عَمْرٍو البَصْرِي البزار ت٢٩٢هـ، فهرسه علي بن نايف الشحود.
- مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، نشر دار المعرفة ـ بيروت.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأحمد الكناني ت٨٤٠هـ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، طبع دار العربية ـ بيروت، ط/ ١٤٠٣هـ

- مصنف عبد الرزاق همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط٢/١٤٠٣هـ ـ
- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل، ط٢/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، طبع دار الحرمين ـ مصر، ط/١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار ـ بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.
- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، نشر دار الفكر ـ بيروت.
- معجم قبائل العرب لرضا كحالة.
- موطأ الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي ـ مصر.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، طبع المكتبة العلمية ـ بيروت،ط/ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤ـ فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد	١٠
المطلب الأول : فضل بلاد الشام في كتاب الله تعالى	١٥
أولاً : مهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام	١٥
ثانيًا : الأرض المقدسة والمباركة التي اختارها الله لسيدنا موسى	١٧
ثالثًا : المكان المبارك الذي اختاره الله لداود وسليمان عليما السلام	٢٢
رابعًا : مكان مولد وإقامة عيسى بن مريم عليهما السلام	٢٣
خامسًا : القرى المباركة في كتاب الله	٢٥
سادسًا : مسرى رسول الله ﷺ ومنطلق معراجه إلى السموات العلى	٢٦
سابعًا : قبلة رسول الله ﷺ بعد الهجرة	٢٨
المطلب الثاني : فضل بلاد الشام في السنة النبوية المباركة	٣٠
أولاً : كفالة الله تعالى للشام ولأهله	٣١
ثانيًا : دعاء النبي ﷺ لبلاد الشام وإضافتها لنفسه، وبسط الملائكة أجنحتها عليها	٣١
ثالثًا : الإيمان عند وقوع الفتن في بلاد الشام	٣٣

رابعًا : نصيحة النبي ﷺ لأصحابه بسكنى أرض الشام..... ٣٥
خامسًا : الأبدال في بلاد الشام ٣٨
سادسًا : الطائفة الظاهرة على الحق والمنصورة من المسلمين في الشام .. ٤١
سابعًا : دمشق الشام وغوطتها فسطاط المسلمين وعقر دارهم، ومعقلهم في الملاحم..... ٤٦
ثامنًا : خيار المسلمين يهاجرون إلى بلاد الشام..... ٤٩
تاسعًا : أجناد الشام خير أجناد الأرض بين يدي الساعة ٥٣
عاشرًا : أهل الشام سوط الله في الأرض..... ٥٤
حادي عشر : إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ٥٦
ثاني عشر : نزول عيسى عليه السلام في دمشق من بلاد الشام ٥٨
ثالث عشر : إقامة مهدي الزمان وإمامته في دمشق من بلاد الشام ... ٦٢
رابع عشر : اختصاص الله للشام لتكون أرض المحشر والمنشر ٦٦
خاتمة ٦٨
الفهارس ٧١
١ـ فهرس الآيات..... ٧٣
٢ـ فهرس الأحاديث النبوية..... ٧٥
٣ـ فهرس المصادر والمراجع ٧٩
٤ـ فهرس الموضوعات..... ٨٧